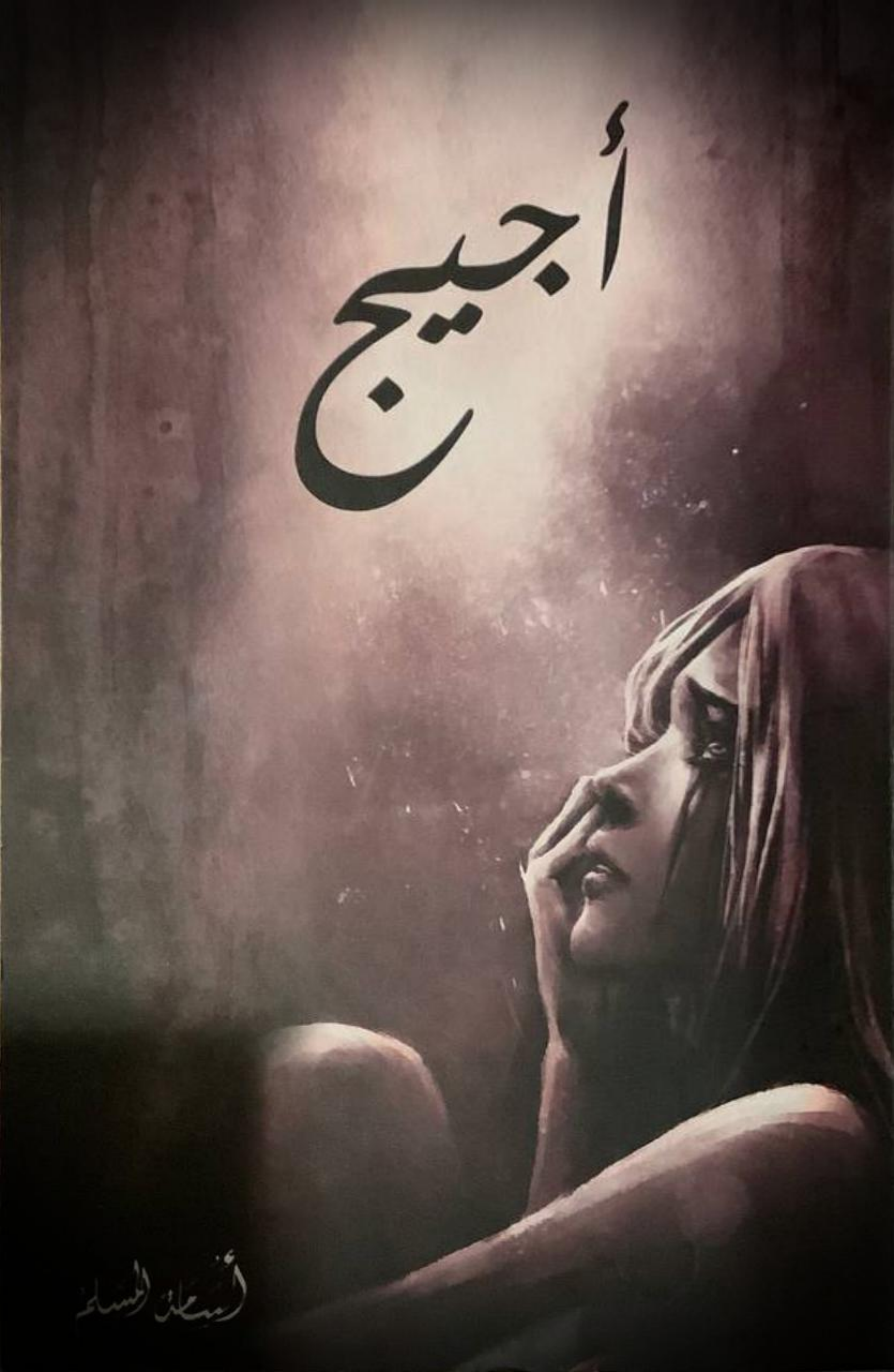

أجيج
أسماء المسلم


أجيج





الروائي

أسامة المسلم

@osamahalmuslim

@osamahalmuslim

komontage

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

الأحلام باقة جميلة تستحق المشاركة مع الغير ..

لكن ماذا عن الكوابيس ..؟

تلك التي تهدينا الألم في يقظتنا قبل غفوتنا ..

تحتضننا عنوة وتعانقنا خنقاً ..

أسامة المسلم



العمر لا يذهب ..



أو يضيع ..



بل ينتهي فقط ..



كابوس اليقظة



فتاة في أواخر العشرين من عمرها تسير على قارعة الطريق تحت حر شمس الظهيرة تقلب بعض الرسائل المتراكمة على هاتفها النقال والتي لم تسنح لها الفرصة لتصفحها وقراءتها بسبب يوم عملها المزدحم في إحدى شركات الدعاية والإعلان. خلال قيامها بذلك لمحت على ساعدها كدمة زرقاء مخضرة حديثة تأملتها لثوانٍ قبل أن تكمل قراءة الرسائل ولم تتفاجأ من ظهورها وكأن الأمر اعتيادي.



كان صوت مرور السيارات المسرعة بجانبها موتراً لها وفي كل مرة تسمع صوت إحداها مقبلاً من خلفها تدير رأسها متفقدة سائقها ومع تكرار ذلك أصيبت بشيء من الدوار بسبب التعب والعطش لتقوم بوضع هاتفها في حقيبة جلدية سوداء حملتها على كتفها وقررت التوجه لدخول مركزٍ صغير للتموين شاهدته على بعدٍ منها لتشتري قارورة ماء.

عند وصولها للمتجر الصغير دخلت وجبينها يتصبب عرقاً وقد سالت قطرات منه على عينيها الباحثتين عن البراد حتى لمحته في أقصى المكان فسارت نحوه ونظرها مرتكز على قوارير الماء الزرقاء المصفوفة داخله وما أن فتحت البراد وهبت عليها نسائم هوائه الباردة حتى مدت يدها وأمسكت بإحداها ولم تستطع الانتظار أكثر وفتحتها وشربت محتواها دفعة واحدة أمام الثلاجة المفتوحة.

استعادت الفتاة المرهقة بعضَ حيويتها المستنزفة بعد ما ارتوت وأغلقت باب الثلاجة متوجهة للمحاسب الذي كان رجلاً مسنّاً راقبها بصمت منذ دخولها حتى وقوفها أمامه ووضعها القارورة الفارغة على سطح طاولة المحاسبة مدخلة يدها في حقيبتها الجلدية باحثة عن محفظتها. استغرقت عملية البحث وقتاً طويلاً وكان من الواضح أنها نسيتها في



المنزل فرفع الرجل المسن كفه قائلاً : «لا بأس لا تشغلي بالك يا ابنتي .. رافقتك السلامة»

«لكني أملك قيمتها» .. قالتها الفتاة وهي تشعر بالخجل ..

ابتسم الرجل وهز رأسه مشيراً بأنه لا يريد قيمة العبوة ..

حملت الفتاة القارورة الفارغة بيد وباليد الأخرى أغلقت حقيبتها وقالت بنبرة ممتنة ومتحرجة : «شكراً يا عم ..»

همت بعدها بالخروج لكن الرجل استوقفها قائلاً: «هل أنتِ بخير؟ .. تبدين متعبة»

تبسمت بحزن وقالت بنبرة مطمئنة له : أنا بخير .. شكراً لسؤالك

أشار الرجل بسبابته لعنقه ثم لعنقها قائلاً : هل أنتِ واثقة من أنكِ لا تحتاجين مساعدة؟

أخفت الفتاة بياقتها كدمة أخرى كانت ظاهرة على رقبتها وقالت بابتسامة مصطنعة : «لا تقلقِ يا عم .. أنا بخير»

خرجت بعدها ووقفت أمام مدخل مركز التموين لثوانٍ رافعة نظرها للشمس الساطعة في السماء الصافية الخالية من الغيوم وزفرت قبل أن ترمي القارورة في سلة مهملات على جانبها مستأنفة طريقها على



قارعة الطريق المرصوف. خلال سيرها وقبل ابتعادها كثيراً رن هاتفها النقال فرفعت شاشة الهاتف أمام نظرها لترى عبارة : «مصدر حزني وفرحي ..» لأنها اعتادت أن تخزن أرقام الهواتف بعبارات تعبر عن إحساسها تجاه الأشخاص عوضاً عن أسمائهم.

أجابت بصوت متعب خفيض قائلة : «أهلاً يا أمي .. نعم أنا في الطريق ..»

أنصتت الفتاة لأمها قليلاً ثم قالت : «لم يكن ذلك بسببي فهو لم يأتِ في الموعد ليقلني وأنا الآن عائدة سيراً على أقدامي ..»

ارتفع صوت الأم خلال حديثها فأغمضت الفتاة عينيها وأبعدت سماعة الهاتف قليلاً عن أذنها حتى انتهت من توبيخها ثم أعادت السماعة وقالت بهدوء :

«أعرف يا أمي أن لدينا ضيوفاً اليوم وأنكِ تحتاجينني لمساعدتكِ لكن ما ذنبي أنا إن كان ..»

قاطعتها أمها وعاودت توبيخها مجدداً وخلال ذلك لمحت الفتاة سيارة بيضاء صغيرة تقترب منها فقالت : «لقد جاء يا أمي سوف أركب معه الآن مع السلا..»

أغلقت الأم الخط قبل أن تنهي الفتاة جملتها فوضعت الهاتف في



حقيبتها وهي تسير نحو السيارة التي خففت من سرعتها حتى توقفت بالكامل على جانب الطريق. أمسكت المقبض وفتحت الباب ورمت بحقيبتها أسفل المقعد وجلست وربطت حزام الأمان وحدقت أمامها قائلة :

«لِمَ لم تأتِ لتأخذني اليوم من عملي يا (فريد)؟»

(فريد) ضاحكاً : ومع من تركبين الآن يا سيدة (يُسرى)؟

(يُسرى) بهدوء بعد ما التفتت نحوه : لا تتذاكَ وأخبرني لِمَ لم تحضر في موعد خروجي؟

(فريد) : أنا أخوكِ ولست سائقكِ الخاص كي تحددي لي مواعيد ويحق لي أن أتأخر كما أشاء .. ثم كل هذا بسبب تأخر بسيط؟

(يُسرى) : بسيط؟! .. لقد بقيت تحت حر الشمس لساعتين قبل أن أقرر السير على أقدامي بعد ما فقدت الأمل بقدومك خاصة وأن هاتفك مغلق!

(فريد) بنبرة غير مكترثة أو متعاطفة : لقد نفدت مني البطارية .. ثم لِمَ لم تنتظري داخل المبنى حتى أصل؟ .. كنت سأحضر عاجلاً أم آجلاً .. هكذا أنتِ دائماً تحبين لعب دور الضحية



(يُسرى) : أنا أعمل في شركة وليس مدرسة وهم لا يسمحون بوجود الموظفين بعد انتهاء أوقات العمل!

(فريد) وهو يدير مقود السيارة ويتحرك من المكان : «كان يمكنك الانتظار أمام المدخل الرئيس ..»

(يُسرى) وقد بدأت تفقد بعض هدوئها : لقد اكتويت من حر الشمس حتى كدت أفقد وعيي وكنت مضطرة للمغادرة! .. أين كنت كل هذا الوقت؟!

(فريد) : في المدرسة ..

(يُسرى) : أي مدرسة؟ .. نهاية يومك الدراسي كانت قبل ثلاث ساعات!

(فريد) : صحيح .. خرجت مع أصدقائي للتنزه

زفرت (يُسرى) ناظرة أمامها صامتة ..

(فريد) دون أن يحيد بنظره عن الطريق : لقد نسيتِ أن تعطيني المبلغ الذي وعدتِ أن تعطيني إياه بالأمس

(يُسرى) بعصبية : ألهذا تعمدت أن تتأخر عليّ؟! . .كنت تريد معاقبتي؟!



(فريد) باسماً بنبرة متهكمة : لا أبداً ..

(يُسرى) بغضب : لو لم أنسها في المنزل لكنت أعطيتك ما تريد!

مد (فريد) يده وفتح الدرج أمامها وقال : أنتِ لم تنسيها في المنزل بل في سيارتي ..

أخذت (يُسرى) المحفظة وقالت بتعجب : مستحيل .. أنا واثقة من أني ..

(فريد) : هل ستتهميننى بسرقتها الآن؟ .. لقد وجدها أحد أصدقائي الذين ركبوا معي أسفل منه وها أنا أعيدها لكِ ..

(يُسرى) : لكن ..

(فريد) ضاحكاً : هل أصبتِ بالخرف؟! .. أم أن عقلك المختل بدأ يتدهور يوماً بعد يوم! .. طريقة ذكية للتهرب من دفع المستحقات التي عليكِ!

فتحت (يُسرى) المحفظة ورمت ببعض العملات الورقية عليه : «خذ!»

التقط أخوها الأوراق من حجره مقهقهاً متهكماً : «إن كنت تحتاجينها فأبقيها معكِ ..»



رمت (يُسرى) بمحفظتها على الزجاجة أمامها ووجهت نظرها للنافذ
ويدأت تتنفس بثقل ..

(فريد) ببرود : ما بكِ؟

(يُسرى) زافرة وهي لا تزال تحدق بالنافذة : لا شيء ..

(فريد) : ألن تعتذري؟

وجهت (يُسرى) نظرها نحوه وقالت بتعجب شديد : أعتذر؟! ..
أعتذر عن ماذا؟!

(فريد) : عن سوء ظنك بي

غطت (يُسرى) وجهها بكفيها ولم تجبه ..

رمق الأخ أخته بنظره وقال متهكماً : هل ستبكين؟

(يُسرى) منزلة يديها محدقة أمامها :

«لو كانت الدموع ستخفف عني لبكيت .. أدخرها لوقتٍ وشخص
يستحقان ..»

(فريد) ضاحكاً : جربي الصراخ إذاً!

(يُسرى) : لَمَ تعاملني بهذه الطريقة؟ .. ما الذي اقترفته بحقك كي
أستحق كل هذا منك؟



(فريد) : تتحدثين وكأني صفعتكِ أو ضربتكِ

(يُسرى) بخليط من العجب والقهر : تضربني؟ .. بالأمس القريب كنت أحملك على كتفي أغني لك تهويدة لتنام واليوم تريد أن تضربني؟

(فريد) بتأفف : لا تعكري مزاجي بتذمرك الذي لا ينتهي .. مارسي ما تجيدينه وهو الصمت .. وبالمناسبة لن أقلكِ غداً لعملكِ لأني سأخرج باكراً للذهاب مع أصدقائي في رحلة خلوية لذا لا تعولي عليّ وتلوميني لاحقاً بالبكاء والنحيب!

لم ترد الفتاة منهية نقاشاً تعلم سلفاً أنه لن ينتهي لمصلحتها وسيضيف همّاً جديداً ليومها الثقيل منذ بدايته ولا يزال يخبئ لها الكثير كعادته ..

بعد أقل من نصف ساعة أوقف (فريد) السيارة أمام منزلهم فهمت (يُسرى) بالنزول بعد ما حملت حقيبتها وسحبت مقبض الباب لكن أخاها استوقفها قائلاً : «لدينا ضيوف اليوم ..»

(يُسرى) دافعة الباب للخارج : أعرف .. أخبرتني أمي

(فريد) بخبث : وهل أخبرتكِ عن سبب زيارتهم؟

(يُسرى) ملتفتة إليه : لا .. لمَ تسأل؟

(فريد) باسماً : لا أبداً .. ادخلي وستعرفين كل شيء



نظرت (يُسرى) لأخيها بنظرة خالطها التساؤل والاستغراب لكنها لم تعلق وترجلت من سيارته وسارت نحو مدخل بيتهم وقبل أن تصل رن هاتفها فأخرجته من حقيبتها ونظرت للمتصل لترى عبارة:

«وجعي الذي ربيته ..»

التفتت وراءها وقالت بصوت مسموع لأخيها : ماذا تريد؟!

(فريد) مغلقاً هاتفه باسماً وهو ينظر إليها من النافذة المفتوحة : لقد نسيتِ محفظتكِ!

بعد أن استعادت (يُسرى) محفظتها من قبضة أخيها الممدودة من النافذة عادت سائرة نحو منزلها وما أن فتحت الباب حتى استقبلتها أمها بسيل من الأسئلة عن سبب تأخرها خالطه بعض اللوم والتوبيخ. لم تحاول (يُسرى) إقناع أمها بشيء لأن هذا الجدال لم يكن الأول ولن يكون الأخير ومحاولة التبرير والإقناع أمر ميئوس منه.

وقفت (يُسرى) وسط غرفة المعيشة محتضنة حقيبتها تنصت لأمها المنفعلة والجالسة على الأريكة أمامها وفي وسط حديثها زفرت وقالت :

«حسناً .. أعتذر يا أمي .. التأخير كان بالفعل بسببي .. هل يمكنني الذهاب لغرفتي الآن؟»



(الأم) بتجهم : إلى غرفتك؟! .. هذا ليس وقت النوم؟! .. أنا أحتاجك للقيام بأعمال كثيرة قبل أن يصل الضيوف!

(يُسرى) : لكني مرهقة من العمل وأحتاج لبعض الراحة والاستحمام أيضاً

(الأم) : كل هذا يمكن تأجيله! .. أنا لن أجهز كل شيء وحدي!

(يُسرى) : ماذا عن (رجاء)؟ .. هي اليوم لم تذهب للجامعة

(الأم) : أختك لا تزال نائمة ولا أريد إزعاجها

نظرت (يُسرى) بتعجب شديد لأمها ولم تقل شيئاً ..

(الأم) بعصبية : هل ستبقين تحدقين بي هكذا طيلة اليوم؟! .. هيا ابدئي بتنظيف غرفة الاستقبال ومن بعدها أخرجي الأواني والكؤوس الخاصة بالمناسبات!

(يُسرى) : حاضر يا أمي لكني أريد أن تقرضيني بعض المال

(الأم) بتجهم : مال؟! .. ماذا عن راتبكِ؟!

(يُسرى) : راتبي يذهب كله على جلسات العلاج التي أصررتِ أنتِ عليّ بدفع قيمتها ولا يبقى منه إلا القليل بالكاد يكفي لسد احتياجاتي الأساسية



(الأم) بعبوس : توقفي عن الذهاب وستزول مشكلتكِ ..

(يُسرى) : أتوقف عنها؟ .. لقد قطعت شوطاً طويلاً ولم يبقَ سوى عدة جلسات وأنتهي

(الأم) : وما الفائدة من إكمالها؟ .. فأنتِ كما أنتِ لم يتغير فيكِ شيء، منفلتة لا يمكن السيطرة عليكِ ولا أرى أي تحسن!

(يُسرى) : لا ترين تحسناً لأني لست مريضة من الأساس

(الأم) : ألم يقمْ ذلك الطبيب بتشخيصك بمرضٍ ما وقال إن الجلسات ستساعدكِ؟

(يُسرى) : الجلسات تساعدني في التأقلم مع المرضى المحيطين بي وليس العكس

(الأم) بغضب : من تقصدين؟! .. نحن لسنا من يصرخ في الليل كالمجانين؟ .. ثم من منا يراجع الطبيب النفسي منذ أشهر! .. كفي عن إضاعة الوقت وأنجزي ما طلبته منكِ!

رمت (يُسرى) حقيبتها على الطاولة وسارت مبتعدة عن المكان وأمها تتذمر محدثة نفسها : «فتاة معتوهة ..»

دخل (فريد) في تلك اللحظة لتستقبله أمه بابتسامة عريضة قائلة :



«أهلاً بحبيبي .. كيف كان يومك؟»

جلس الشاب بجانب أمه بوجه متجهم قائلاً : «كان جميلاً قبل أن تعكره (يُسرى) بتذمرها ..»

(الأم) ماسحة على رأسه : « أعرف يا عزيزي أن تصرفاتها لا تطاق أحياناً لكن يجب أن نتحملها ..»

(فريد) : ولِمَ يجب علينا أن نتحمل مزاجها المتقلب؟! .. لِمَ لا تكون طبيعية مثلنا؟!

(الأم) : تدليل أبيك لها هو ما أفسدها لكن اليوم قد يأتي الفرج

(فريد) بتهكم : هل أخبرتها أن الضيوف قادمون لفحصها

(الأم) : لا .. في كل مرة أقول لها عن أي خاطب تتعمد تخريب اللقاء بجنونها المعتاد لذا لن أقول لها أي شيء خاصة وأن من سيزورنا هي أم الخاطب وخالته فقط ولو وافقتا هما فوقتها يمكن أن نعلمها بالأمر

(فريد) : أتمنى بحق أن تتزوج وينتقل همها لغيرنا

(الأم) : سيحدث ذلك لا تقلق وستكون وقتها مسؤولية من سيرتبط بها

(فريد) مقبلاً يد أمه : أمي .. أريد بعض المال



(الأم) مدخلة كفها في جيب صدرها : كم تريد يا عزيزي؟

(فريد) : فقط ما يكفي لإصلاح سيارتي

(الأم) مقلبة محتوى محفظتها : سيارتك جديدة .. كيف تعطلت بهذ
السرعة؟

(فريد) ونظره على الأوراق النقدية في محفظة أمه : لم تتعطل لكني أريد
تغيير لونها .. لونها منفر

(الأم) وهي تمد مبلغاً له : ألم تختر أنت بنفسك ذلك اللون؟

(فريد) آخذاً المبلغ : بلى لكني مللت منه

(الأم) : لا بأس يا حبيبي غيره كما تشاء

قبل (فريد) رأس أمه وخلال ذلك دخل أبوه عائداً من عمله ومالز
شاهد ذلك المشهد حتى قال : يبدو أني قد حضرت نهاية صفقة تجاري
جديدة ..

(الأم) : ابني يحبني ويقبلني على الدوام

(الأب) جالساً على الأريكة المقابلة : صحيح .. صحيح ..

وقف (فريد) وقال : سوف أذهب لغرفتي حتى موعد الغداء

(الأب) : ألن تقبل رأس أبيك أيضاً أم أن التسعيرة تغيرت؟



(الأم) : اتركه ليرتاح ولا تفتعل المشكلات

(الأب) بتهكم : أنا مستعد للدفع لا مشكلة لدي

سار الشاب وقبل رأس أبيه قائلاً : العفو يا أبي فأنت الخير والبركة

(الأب) : نعم حتى يتأخر المصروف ..

قوطع حديثهم بنزول فتاة من الطابق العلوي بشعر منكوش تدعك عينها بقبضتها متثائبة وهي تقول : «لَمَ تركتموني نائمة لهذا الوقت؟»

(الأم) : لقد عدتِ متأخرة بالأمس ولم أكن أريد إيقاظكِ حتى تكتفي من النوم

(فريد) ساخراً : لَمَ لا تعرضون (رجاء) اليوم على الضيوف هي أيضاً كي نرتاح منهما جميعاً

(رجاء) : اخرس أنت ولا تتدخل فيما لا يعنيك أنا لست بمزاج لجدالك يكفي المواعيد التي فوتها اليوم بسبب إهمال أمي

(الأب) : أمكِ ليست منبهكِ الخاص لو كنتِ تريدين الاستيقاظ كان بإمكانك القيام بذلك بنفسكِ

(الأم) باسمة : كنت أريدكِ أن ترتاحي فقط يا عزيزتي ..

(رجاء) : عن أي راحة تتحدثين يا أمي وتلك المجنونة تصرخ طيلة الليل .. لَمَ يجب أن تكون غرفتي مجاورة لها؟



(الأب) بتجهم : لا تتحدثي عن أختك الكبرى بهذه الطريقة!

(رجاء) : ما بك يا أبي .. جميعنا نعرف أنها مجنونة

نهض الأب من مكانه ورفع سبابته وحركها في وجوههم وقال بغضب : «لو سمعت أحداً منكم ينعتها بهذا الكلام أمامها أو من ورائها فستكون عاقبته وخيمة!»

(رجاء) مشوحة بيدها : حسناً .. حسناً .. لا حاجة لي بهذه الطاقة السلبية الآن .. أنا راحلة

توجهت (رجاء) للمطبخ بينما بقي الأب يحدق بها بوجه ساخط ..

(الأم) : لَم كلمتها بتلك الطريقة؟

(الأب) : أي طريقة؟! .. ابنتكِ لا تحترم أحدًا في هذا المنزل!

(فريد) : معه حق يا أمي .. فهي تتعامل معنا وكأنها في فندق

(الأم) : لا شأن لكما بها ولا تحكما عليها بسبب مزاجها المتعكر بعد الاستيقاظ من النوم

(فريد) وهو يهم بالخروج : لا دخل لي .. وداعاً

(الأب) : إلى أين أنت ذاهب؟ .. ماذا عن الغداء؟

(فريد) مستمرّاً بالسير نحو باب الخروج : سأتناول الغداء مع



أصدقائي وسوف أتأخر بالعودة اليوم لذا لا تزعجوني بالاتصالات

التفت الأب نحو الأم وقال : «هل أنتِ مسرورة لنتيجة تربيتكِ؟»

(الأم) : ما بها تربيتي؟ .. نحن محسودون على أبنائنا .. وكون أحدهم مصاباً بخلل في عقله فهذا لا يعني أنهم سيئون أو أننا لم نحسن تربيتهم

(الأب) : علمت الآن لَم يتجرأان على أختهما الكبرى ..

(الأم) ناهضة من مكانها : سوف أذهب لأجهز الغداء كي تأكل وتصمت فمعدتك الخاوية تحفز عقلك على التحدث فيما لا يعنيك

(الأب) خلال سير زوجته نحو المطبخ : أبنائي يعنونني وكل ما يخصهم هو من شأني ..

لم ترد الزوجة عليه وتركته يجلس مجدداً عاقداً أصابعه صامتاً محدقاً بالطاولة أمامه حتى أحس بكفٍّ تربته من ورائه تبعه صوت (يُسرى) تحدثه : كيف حالك يا أبي؟

وضع الأب كفه على كف ابنته وتبسم قائلاً : أهلاً بمهجة قلبي ..

سارت (يُسرى) وجلست بجانب أبيها بعد ما أنزلت أكمامها المطوية : الحمد لله بخير

(الأب) متحسساً كميها وملابسها المبللة : لَم لم تبدلي ملابسكِ؟



(يُسرى) : كنت أغسل بعض الأطباق ..

(الأب) : وما علاقة ذلك بتلطيخ ملابسك الجديدة هكذا؟ .. كان يجب أن تبدلي قبلها

(يُسرى) باسمة : لا عليك يا أبي لقد أعتقتني أمي قبل قليل وسمحت لي بالذهاب لغرفتي لاستبدالها لأعود وأساعدها

(الأب) : وماذا عن الكسول (رجاء)؟ . .أليست معها في المطبخ؟ .. فلتساعدها هي .. أنت مرهقة من عملك

(يُسرى) : لا بأس .. سأنام في الليل ..

(الأب) بحزن : هل ما زلتِ تعانين من الكوابيس؟

(يُسرى) منزلة رأسها زافرة بحزن : لا ..

(الأب) بنبرة مهمومة : اصدقيني القول يا ابنتي .. لقد سمعناكِ البارحة تصرخـ..

(يُسرى) مقاطعة : لا تقلق يا أبي .. الأدوية التي يصفها لي الطبيب تساعدني كثيراً وقد زالت الكثير من الأعراض .. إنها مسألة وقت فقط كي أتحسن بالكامل

(الأب) : هل تعطيكِ أمك مصاريف العلاج في وقتها؟ .. لقد حرصتها على ذلك



(يُسرى) : نعم .. تعطيني قيمة كل جلسة في موعدها

وضع الأب كفه على كتف ابنته زافراً :

«لا تخفي علي أي شيء يضايقكِ .. أنا سندكِ مهما كانت الدنيا قاسية عليكِ ..»

تبسمت (يُسرى) وعانقت أباها قبل أن تنهض وتصعد لغرفتها ولم تشتكِ له من شيء ..

ما أن دخلت غرفتها حتى رمت بجسدها على سريرها وغطت في نوم عميق لم تفق منه إلا على رنين هاتفها الملقى عند رأسها والذي رفعته لترى عبارة : «سر ابتسامتي ..» فأجابت بوجه ناعس وصوت متعب : «أهلاً (دينا) ..»

(دينا) : هل أيقظتكِ؟ .. أنا أسفة

نهضت (يُسرى) وجلست على طرف السرير ماسحة وجهها بكفها : لا لا .. كانت أمي ستوقظني على أي حال بعد قليل ولن تتركني أكمل نومي

(دينا) ممازحة : ضيوف جدد؟

(يُسرى) ملتقطة قارورة بلاستيكية صغيرة بنية اللون من على المنضدة المجاورة لسريرها وفاتحةً إياها محدثة صوتاً :



«نعم وهل هناك حالة طارئة تطرأ في منزلنا غير زيارات الضيوف؟»

(دينا) : ما هذا الصوت؟

(يُسرى) رامية قرصين من محتوى القارورة في فمها : لا شيء .. أتناول أحد أدويتي فقط .. دواء الضغط

(دينا) : كيف لفتاة في مقتبل العمر مثلكِ أن تعاني من ارتفاع ضغط الدم؟

(يُسرى) محتسية بعض الماء من كأس حملته بعد إعادة القارورة مكانها : «هذا أقل شيء أعاني منه ..»

(دينا) : كلنا نعاني لكن نظرتنا للأمور هي التي تحدد كيف ستؤثر بنا تلك المعاناة

وقفت (يُسرى) وسارت نحو مرآتها الكبيرة المدمجة في درفة باب دولابها ووقفت أمامها ممرة أصابعها في شعر غرتها : شعري بدأ يتساقط بكثرة مؤخراً ..

(دينا) : يجب أن تحاولي التقليل من التفكير يا عزيزتي .. الحياة لا تستحق

(يُسرى) متفحصة الشعيرات التي سقطت والتصقت براحة يدها : «الشيب كذلك بدأ يشتعل في رأسي ..»



(دينا) بحزن : التذمر لن يفيدك بشيء ..

(يُسرى) : ومن قال إني أتذمر .. على العكس تماماً أجد أن الشعر الأبيض جذاب جدّاً عندما يخالط الأسود تبدو حينها كخيوط من الفضة

(دينا) : لا تخدعي نفسكِ لكن غيري من طريقة تفكيرك وستتغير حياتكِ

(يُسرى) وهي تستلقي بظهرها على فراشها مجدداً : استقري على رأي محدد .. هل أقلل من التفكير أم أغير طريقته؟

(دينا) : كلاهما .. في كل الأحوال يجب أن تتغيري

(يُسرى) : تتحدثين مثل أهلي ..

(دينا) : معهم حق في بعض ما يقولون

(يُسرى) وقد بدأت تنفعل : لَمَ تفترضون أن لي خيارًا في الأمر؟!

(دينا) : هدئي من روعك .. حاولي أخذ الأمور ببساطة أكثر

(يُسرى) بعصبية : غيري الموضوع أرجوكِ!

(دينا) ضاحكة : حسناً .. هل رأيتِ ما حدث لمدير قسمنا اليوم؟

(يُسرى) باهتمام : لا .. ماذا حدث؟



(دينا) : قدمت إحدى الموظفات شكوى تدعي فيها أنه تحدث معها بشكل غير لائق

(يُسرى) : ماذا تقصدين بشكل غير لائق؟

(دينا) : لا تتظاهري بأنه لم يحاول معاكستكِ من قبل .. أعتقد أنه لا يوجد موظفة في قسمنا إلا وقد حاول معاكستها ولو لمرة واحدة

(يُسرى) : هل ستصدقينني لو أخبرتكِ بأنه لم يفعل ذلك معي قط ..

(دينا) : غريبة .. حتى أنا لم أسلم منه وتعرضت لتحرشه مرتين

(يُسرى) ضاحكة : لَمَ شعرت بالاستياء فجأة؟! .. هل أنا بشعة لهذه الدرجة؟! .. حتى المتحرشون يصدون عني!

(دينا) تشاركها الضحك قائلة : أحب كيف تقلبين الأمور الإيجابية لسلبية في غمضة عين

(يُسرى) بشيء من الحزن : وما الإيجابي في أن تكون منبوذاً حتى من المنبوذين أنفسهم ..؟

(دينا) : كفي عن تلك السخافات .. أنتِ لستِ منبوذة وحولكِ الكثير ممن يحبونكِ لكنكِ عمياء

(يُسرى) : لم أعد أهتم .. حقيقة لم أعد أهتم



(دينا) ممازحة : بما أننا نتحدث عن التحرش في بيئة العمل .. ماذا سترتدين غداً؟

(يُسرى) باستغراب : ما ألبسه بالعادة .. لِمَ تسألين؟

(دينا) : لا يوجد سبب محدد .. مجرد سؤال عابر

(يُسرى) ضاحكة : اصدقيني القول يا حرباء!

(دينا) : لا أبداً لقد لفت نظري فستانكِ الجديد اليوم

(يُسرى) متهكمة بحزن : تقصدين الفستان الذي أفسدته عودتي مشياً اليوم وأنهاه غسيل صحون أمي؟

(دينا) : خسارة فقد لفت نظر الكثير

(يُسرى) : الكثير؟ .. عمن تتحدثين؟

(دينا) : سأخبركِ لكن عديني بألّا تخبري أحدًا

(يُسرى) : ومن يمكن أن أتحدث معه في موضوع غريب مثل هذا سواكِ

(دينا) : حسناً .. هل تذكرين (داود) من قسم المحاسبة؟

(يُسرى) بتساؤل : (داود)؟ .. (داود) من؟



(دينا) : الشاب الوسيم النحيل الذي يتردد على قسمنا من وقتٍ لآخر بسبب ودون سبب

(يُسرى) : لا .. لا أذكره

(دينا) : هو يذكرك .. ويذكرك بالخير دوماً في حضورِكِ وغيابكِ

(يُسرى) : في حضوري؟ .. أنا لم أتحدث معه من قبل

(دينا) : يذكركِ عندي ويسأل عنكِ دوماً .. إنه خجول جدّاً للدرجة مضحكة وعندما شاهدكِ اليوم بذلك الفستان الجديد لم يتمالك نفسه وعبر لي عن إعجابه بمظهركِ بدرجة كبيرة لم أعتدها منه

(يُسرى) بتهكم : أعتقد أن علاقته معكِ أكبر بكثير من علاقته معي ..

(دينا) : وأنا أعتقد .. لا .. أنا متيقنة وأجزم أنه معجب بكِ جدّاً ولدي حدس أنه يريد أن يتقدم لخطبتكِ

(يُسرى) بتضجر : هذا ما كان ينقصني .. أن تتحول أعز صديقة لي لأمي الثانية وتحاول تزويجي بأسرع وقت للتخلص مني

(دينا) : لا تكوني بلهاء وتضيعي هذه الفرصة .. الشاب خلوق جدّاً ويحبكِ

(يُسرى) : أنا لا أصلح للزواج ..



(دينا) ضاحكة : ولا أنا! .. لكن حفل زفافي بعد أقل من شهر .. ليكن في معلومكِ أن المناسبين للزواج في الغالب لا يتزوجون أبداً!

(يُسرى) : لا أعرف إن كان حديثكِ هذا إطراء أم مذمة لكن في كل الأحوال أنا كنت أفكر بأخذ إجازة غداً .. أخي لن يستطيع إيصالي لأنه سيذهب مع أصدقائه في رحلة ما وأنا كذلك أشعر بأني منهكة ولن أتمكن من الحضور

(دينا) : عن أي إجازة تتحدثين؟! . .هل نسيتِ أن لدينا اجتماعاً مهماً مع شركة المستحضرات التجميلية لمناقشة الحملة الدعائية التي سنقوم بها لهم .. لا تتركيني وحدي في ذلك الاجتماع!

(يُسرى) : هذه ليست أول مرة تشرفين على اجتماع وحدكِ .. ثم إن المدير سيكون معكِ

(دينا) بانفعال : ستتركينني وحدي مع ذلك المتحرش؟! .. لا! .. يجب أن تكوني حاضرة!

(يُسرى) ضاحكة : حسناً .. حسناً .. سوف أستقل سيارة أجرة وأمري لله

(دينا) : لِمَ لا يوفر لكِ أهلك سائقاً خاصّاً ليقوم بإيصالكِ؟

(يُسرى) : أهلي؟ .. أحياناً أشعر بأنكِ لا تنصتين لأي من أحاديثي



معكِ .. عندما أكون صاحبة الشركة وقتها اسأليني هذا السؤال

(دينا) ممازحة : تزوجي من (داود) وستحضرين معه يومياً معززة مكرمة

(يُسرى) ضاحكة : أتزوج كي أحظى بوسيلة نقل؟ .. سبب وجيه..

(دينا) وهي تشاركها الضحك : سبب من عدة أسباب وحاجات أخرى!

(يُسرى) : كل ما أحتاجه الآن هو حمام ساخن .. اذهبي وتحدثي مع خطيبكِ عن أحلامكِ قبل أن تأتي أمي وتقلب الدنيا على رأسي ولا أجد وقتًا حتى لغسل وجهي

(دينا) : حسناً يا عزيزتي .. أراكِ غداً .. والبسي شيئاً جميلاً مثلكِ .. ولا تتركيني مع ذلك المتحرش أرجوكِ

(يُسرى) قبل أن تنهي الاتصال باسمة :

«أمثالكِ يستحقون التحرش بالفعل .. وداعاً يا سر ابتسامتي ..»



هيمنة الأثير



نهضت (يُسرى) من فراشها بتثاقل وتكاسل شديدين وتوجهت لدورة المياه داخل غرفتها وأدارت الصنبور محدقة بالماء الجاري في انتظار أن يسخن رفعت بعدها رأسها ناظرة لملامحها المتعبة بالمرآة قائلة : «يوم مرهق آخر ينتظرني ..»

زادت كثافة الضباب على سطح المرآة معلنة عن سخونة الماء حد الغليان ومغطية معها انعكاس ملامحها حتى اختفى وجهها بالكامل. رفعت سبابتها ورسمت قلباً يخترقه سهم على الزجاج المضبب فتحت عقبها



الماء البارد لموازنة الحرارة ثم ضمت كفيها وملأتهما بالماء وغسلت وجهها ثم مدت يدها وأمسكت بقالب الصابون وحينها تذكرت وقالت محدثة نفسها : «لمَ أغسل وجهي وأنا سأستحم ..»

في تلك اللحظة سمعت (يُسرى) صوتًا يشبه القهقهة الخفيفة وكأن أحداً قد ضحك على تعليقها فالتفتت وراءها جزعة بعد ما أغلقت الصنبورين وجالت بنظرها ووجهها المبلل حولها مستكشفة زوايا الحمام ليعود الصوت مجدداً بشكل أوضح من خلفها لتدير نظرها بسرعة نحو المرآة وتكتشف أن الصوت لم يكن سوى صوت تمدد الأنابيب المعدنية جراء مرور المياه الساخنة عبرها فتبسمت وقالت بعد ما زفرت متنفسة الصعداء :

«ستكون هذه قصة جديدة أرويها للطبيب في زيارتي القادمة كي أعزز ثقته بنفسه وتشخيصه لي بأني مصابة بالأوهام ..»

أكملت (يُسرى) يومها واستحمت وخرجت بعدها لتتناول بقية أدويتها استعداداً ليومها الحافل ..

في المساء وبعد اكتمال جميع التجهيزات أمرت الأم ابنتيها أن تستعدا لتكونا معها خلال استقبال الضيوف الذين أوشكوا على الوصول وبأن تلبسا أفضل ما عندهما وأن تتزينا بالحلي وأن تصففا شعورهما كذلك.



(رجاء) بعبوس : لَمَ كل هذا؟ .. ألا يكفي أني أضعت يومي كله بين المطبخ والتنظيف

(يُسرى) : أنتِ لم تقومي بشيء سوى التذمر

(رجاء) : هل ستنسبين الفضل لنفسكِ كالعادة؟!

(يُسرى) : أنا أذكر ما حدث فقط

(الأم) : كفا عن الجدال أمامي وإضاعة الوقت!.. هيا اذهبا واستعدا!

تفرق الجميع وعادت الأم لغرفتها حيث كان الأب مستلقياً وعندما لمح زوجته تدخل عليه بوجه عابس قال : «هل حضر ضيوفكِ؟»

(الأم) فاتحة دولابها بتجهم : في الطريق ..

(الأب) : ما بكِ؟

(الأم) وهي تقلب بين ملابسها المعلقة : ومن غيرها يقلب مزاجي ويعكر صفوه؟

(الأب) متهكماً : (رجاء)؟

(الأم) مخرجة رداءً أحمرَ من وسط الدولاب : لا تتغابَ ..

(الأب) ناهضاً من السرير : بل أنتِ التي يجب ألّا تكوني متجنية وظالمة .. كفي عن استخدام (يُسرى) كشماعة



(الأم) : شماعة ماذا؟! .. ثم أليس من المفترض أن تكون قد خرجت في هذا الوقت؟! . لَمَ لا تزال هنا؟!

(الأب) سائراً نحو باب الغرفة : فقط كوني مدركة أن العاقبة تلحق بنا ولو بعد حين

(الأم) وهي تبدل ملابسها : أنت عقوبتي في هذه الدنيا ولن يصيبني عقابٌ أسوأ منك!

عند قرابة الثامنة والنصف مساءً حضرت الضيفتان وكان في استقبالهما (رجاء) بأمرٍ من أمها التي قادتهما للمجلس المخصص للنساء ومنذ دخولهما وهما تتفحصان كل شيء حولهما بأنظارهما بصمت حتى دخلت الأم عليهما مرحبة وجلست معهما بعد ما أشارت لابنتها بإحضار الضيافة.

(الأم) باسمة : أهلاً بـ (أم رجب) و(أم حسن) أنرتما منزلنا

(أم رجب) : النور نورك يا عزيزتي ونور ابنتكِ الجميلة

(الأم) : هذه ابنتي الصغرى (رجاء)

(أم حسن) : هي ليست العروس إذاً؟

(الأم) : لا .. تلك ابنتي الكبرى (يُسرى)



(أم رجب) : كم عمرها الآن؟

(الأم) بتردد : إنها الآن ..

قوطع حديثهما بدخول (رجاء) وهي تحمل صينية الشاي والقهوة التي وضعتها على الطاولة أمام الضيوف الذين تبسموا لها لكن الأم لم تكن مسرورة لأنها اتفقت مع ابنتيها بأن من سيقوم بذلك هي (يُسرى) لذا وعندما خرجت (رجاء) استأذنت على عجالة ولحقت بها وقبل أن تصل إلى المطبخ لتحضر بقية التقديمات أمسكت الأم بذراعها وقالت بنبرة غاضبة :

«أين أختك البلهاء؟! .. ألم أخبركما بأنها هي من سيقوم بالضيافة؟!»

(رجاء) بعصبية : وما شأني أنا؟! .. هي التي لم تأتِ وتعاوني .. كوني شاكرة لأني لم أهرب مثلها!

(الأم) بتجهم : تهرب؟! .. هربت إلى أين؟!

(رجاء) : إلى غرفتها بالطبع .. النوبة المعتادة أتتها وهي الآن غالباً تضرب برأسها في الحائط كي تتسبب بتلك الكدمات بحثاً عن الشفقة!

استشاطت الأم غضباً وقبل أن تهم بالصعود لغرفة (يُسرى) وجهت (رجاء) بالبقاء مع الضيفتين ومباشرتهما وعدم تركهما وتسليتهما بالحديث معهما حتى تعود.



(رجاء) بخليط من التململ والتذمر : لا أريد يا أمي! .. هاتان المرأتان مقززتان

(الأم) ناهرة بغضب : اسمعي الكلام ولا تجادلي!

ضربت (رجاء) بكفيها على فخذيها وقالت بسخط وهي ترحل : حاضر! .. حاضر!

صعدت الأم السلالم بخطوات ثقيلة ووجه متجهم حتى وقفت أمام باب غرفة (يُسرى) وأدارت المقبض وبعد أن وجدته مقفلاً طرقته بقبضتها وهي تصرخ فيها :

«افتحي الباب! .. ما تقومين به لن يفيدكِ ولن يعفيكِ من مقابلة الضيوف! .. هيا اخرجي!»

لم يأتِ أي رد أو إجابة ..

عاودت الأم الطرق مجدداً وبقوة أكبر وهي تردد : «افتحي الباب قبل أن أحطمه على رأسكِ!»

بقي الصمت والهدوء في الطرف الآخر كما هما ..

(الأم) بغضب عارم : حسناً .. هذه المرة سيكون عقابكِ وخيماً!

قبل رحيل الضيفتين قدمت الأم اعتذارها عما حدث لكنهما عبرتا



بأن زيارتهما كانت مثمرة وسوف تتواصلان معها قريباً للتحدث في التفاصيل ..

(الأم) بتعجب وهي تغلق الباب خلفهما محدثة (رجاء) الواقفة بجانبها : عن ماذا كانتا تتحدثان؟ .. أي تفاصيل تريدان الحديث فيها وهما لم تقابلا أختكِ؟

(رجاء) باشمئزاز : أعتقد أن العجوز كانت تقصدني

(الأم) : تقصدكِ؟ .. وما شأنكِ أنت؟

(رجاء) : لقد تركتني معهما وقتاً طويلاً اضطررت فيه لمجاملتهما وتحمل غثائهما خاصة (أم حسن) تلك فهي امرأة غريبة جدّاً وكنت أجاهد نفسي لعدم إظهار امتعاضي منها فقط كي أنتهي من هذا اليوم بسلام لكن فيما يبدو ولسوء حظي أنهما قد أعجبتا بي وتريدان خطبتي لابن (أم رجب)

(الأم) : خطبتكِ؟! .. أنتِ لستِ المقصودة

(رجاء) : وهل تظنين أني مسرورة؟ .. (رجب) .. اسمه لم يعجبني من قبل أن أرى وجهه .. أتخيل شكل أسمائنا المضحك على كروت الدعوة .. (رجاء ورجب) .. وكأنه لوحة إعلانية لمحل يوزع الإعانات للمحتاجين .. ثم أنا لا رغبة لي بالزواج لا اليوم ولا بعد ألف عام



في تلك اللحظة بدأت الاثنتان تسمعان صراخات (يُسرى) تتعال
من غرفتها بالطابق العلوي ولم تبدِ أي منهما ردة فعل أو اهتمام لأنها
تعودتا على حدوث ذلك في كل مرة يأتي أحد ويتقدم لخطبتها أو يثار
حديث الزواج معها.

(رجاء) ونظرها لبداية السلالم المؤدية للطابق العلوي : «لقد بدأت
الحالة .. يبدو أننا لن ننام الليلة أيضاً ..»

(الأم) بتجهم : لقد سئمت من مسرحياتها هذه!

(رجاء) بتذمر : هل يمكن أن أبات مع إحدى صديقاتي اليوم؟ .. ليس
لي مزاج ولست مضطرة للإنصات لهذا العويل طيلة الليل

(الأم) بسخط : لا أحد منا مضطر لذلك .. أين أخوك؟

(رجاء) : لا أعرف .. ألم يقل بأنه سيتأخر

(الأم) : اتصلي به حالاً ..

(رجاء) : لا داعي لذلك يمكنني أن أطلب من صاحبتي أن تأتي
وتقلني فلديها سائقها خاص

(الأم) : أنا لا أتحدث عنكِ! .. أريده أن يأتي لنضع حدّاً لتصرفات
تلك المجنونة!



(رجاء) مخرجة الهاتف من جيبها : هل أتصل بأبي أيضاً؟

(الأم) : لا .. لا أريده أن يكون حاضراً سوف يرق قلبه عليها وسيحاول منعنا

(رجاء) بتوجس : منعنا من ماذا؟

بعد وصول (فريد) للمنزل دخل على أمه وأخته في غرفة المعيشة وقال بغضب وعصبية : «لمَ طلبتها مني قطع اجتماعي بأصدقائي .. للتو بدأ المرح!»

(الأم) بتجهم : دعك من هذه السخافات الآن .. أحتاجك لأمرٍ هام

(فريد) : أمر ماذا؟!

(الأم) وهي تهم بالتوجه للسلالم : الحق بي ..

صعد الثلاثة للطابق العلوي وعند وقوفهم أمام باب (يُسرى) سمع أخوها صرخاتها وقال ببرود : «نوبة من نوباتها المعتادة .. ما الجديد؟»

(الأم) : الجديد هو أننا سنضع حدًّا لهذا الأمر اليوم

(فريد) : لم أفهم قصدكِ

(الأم) تومئ برأسها : اكسر الباب ..

(فريد) باستغراب : لماذا؟



(رجاء) بقلق : لننتظر حضور أبي

(الأم) : أختكما المجنونة تحبس نفسها بالداخل في كل مرة نحاول تزويجها ظناً منها أنها بذلك ستنجو من سخطي لكن قلبي لن يرق عليها هذه المرة

(فريد) بعصبية : هل هي سبب اتصالكما بي؟!

(الأم) : نعم .. أريدك أن تعاقبها!

رجاء : ماذا تقولين يا أمي؟!

(الأم) ناهرة : لا تتدخلي أنتِ!

(فريد) : أعاقبها كيف؟

(الأم) : بأي وسيلة ترى أنها مناسبة ولن أمنعك .. أريد أن تفهم أن مسرحياتها لم تعد تنطلي علينا!

تردد (فريد) في تنفيذ كلام أمه بمعاقبة أخته الكبرى لكنها صرخت به :

«هيا ماذا تنتظر؟!»

انتفض الشاب وركل الباب عدة ركلات حتى حطمه ودخل الغرفة فهمت (رجاء) باللحاق به لكن الأم أوقفتها وقالت : «دعيه يتصرف معها ..»



بعد ثوانٍ قليلة تعالت أصوت صرخات (يُسرى) وتحولت لما يشبه الاستنجاد المؤلم بصوت مبحوح والذي أثار خوف أختها الصغرى مما دفعها لقول :

«يكفي هذا يا أمي سوف يقتلها ..»

(الأم) دون اكتراث : «اتركيه .. اتركيه يطفئ نار قلبي بعد ما أحرجتني اليوم ..»

(رجاء) وقلقها يتحول لتوتر شديد : أبي سوف يغضب!

(الأم) محاولة النظر وسط الغرفة : لا تشغلي بالك به ..

(رجاء) من خلفها : لكن ..

فجأة .. حلق جسد (يُسرى) مندفعاً من وسط الغرفة مرتطماً بجدار الممر لتسقط بوجه دامٍ وملابس ممزقة ..

(رجاء) مديرة نظرها المصدوم نحو أخيها الذي خرج للتو من الغرفة بوجه محتقن محدقاً بأخته الملقاة على الأرض : «ماذا فعلت يا مجنون؟!»

(الأم) ببرود : هيا لنأخذها للمستشفى ..

توقفت سيارة (فريد) البيضاء أمام مدخل قسم الطوارئ عند المستشفى العام بالمدينة ونزلت (رجاء) وأمها وهما تحملان (يُسرى)



الفاقدة للوعي وسلمتاها للإسعاف الذي باشر على الفور إسعافها وخلال ذلك سأل الطبيب المناوب أخاها قائلاً :

«ما الذي حدث لها؟ .. حادث مروري؟»

(فريد) وسرحانه بأخته الفاقدة للوعي ينقطع : ها؟ .. لا ..

(الطبيب) : ماذا إذاً؟

(فريد) بتوتر : كانت ..

(الأم) مقاطعة : وقعت عن السلالم

(الطبيب) : وقعت؟ .. الرضوض على وجهها لا تنجم عن وقوع مثل هذا

(الأم) : هل هذا وقته يا دكتور؟

(الطبيب) بامتعاض : لا .. المهم الآن هو أن نطببها لكن سيحل وقته عندما تفيق ونأخذ إفادتها

(الأم) : إفادتها؟

(الطبيب) : نعم .. هل تظنين أن أمرًا كهذا سيمر مرور الكرام؟
دخلت إحدى الممرضات وقالت للطبيب : لدينا حالة جديدة في الإسعاف يا دكتور



(الطبيب) : وما الحالة؟

(الممرضة) : فتاة مغمى عليها ومصابة بعدة كدمات وجروح يرافقها إخوتها ويقولون بأنها وقعت عن السلم

(الطبيب) وهو يرمق الأم بنظرة استهجان : ما حكاية السلالم هذه الليلة؟

أشار الطبيب للممرضات اللاتي باشرنّ معه إسعاف (يُسرى) بأخذها لغرفة أخرى لإجراء المزيد من التحاليل والأشعة بينما يقوم بمباشرة الحالة الجديدة ..

بعد خروج الطبيب بدا على وجه (فريد) القلق والتوتر الشديد فلاحظت أمه ذلك وقالت له مطمئنة : «لا تقلق لن يصيبك مكروه هيا بنا لنعد للمنزل ..»

(رجاء) ماسحة دموعها : ماذا عن (يُسرى)؟ .. ألن نبقى معها؟

(الأم) وهي مستمرة بالسير نحو باب الخروج : سنزورها في الصباح ..

(رجاء) بنبرة مؤنبة لأخيها الذي لم يلحق بأمه مباشرة وبقي واقفاً مكانه بذهن مشتت : هل كان عليك أن تضربها بكل تلك القسوة؟!

(فريد) سارحاً في ظهر أمه في نهاية الممر : «هل ستصدقينني لو أخبرتكِ بأني لم أمسها ..»



(رجاء) : ماذا؟ .. كيف لم تمسها وهي ملقاة في الداخل بتلك الحال
أنا لست أبي كي تكذب علي فقد كنت حاضرة وقتها!

(فريد) ملتفتاً نحو أخته بأعين محمرة لامعة بدموعه : «أقسم لك أني
ألمس شعرة منها ..»

في صباح اليوم التالي وبعد خضوع (يسرى) لمجموعة من التحالي
والأشعة تبعها الكثير من عمليات الخياطة وتجبير أحد أطرافها دخ
عليها الطبيب المعالج لها وسحب كرسياً وجلس عند سريرها وقال
«كيف حالكِ اليوم؟»

(يسرى) : بصوتٍ مرهق ومتعب من وراء مجموعة من اللفافات التي
غطت رأسها ووجهها : بخير الحمد لله ..

(الطبيب) : الحمد لله .. لن أدخل في تفاصيل ما تعرضتِ له فكل ذلك
سيكون في التقرير الذي سأقدمه للشرطة

(يسرى) : الشرطة؟

(الطبيب) : هل ظننتِ أني صدقت ادعاء أمكِ أنكِ سقطتِ عن
السلالم ..

(يسرى) : هل قالت لك ذلك؟



(الطبيب) : نعم ولذلك منعت الزيارة عنكِ حتى تفيقي وأتحدث معكِ وأسمع منكِ قبل أن يحاول أحد من أهلك أن يؤثر على أقوالك

(يُسرى) : أقوالي في ماذا؟

(الطبيب) : ما حدث لكِ جريمة وأنا أعرف يقيناً أن أمكِ تحاول التغطية على الفاعل الحقيقي هذا إن لم تكن مشاركة معه .. ما تعرضتِ له هو اعتداء جسدي من شخص يفوقكِ حجماً وقوة وقد يكون من عدة أشخاص لكنه بلا شك ليس سقوطاً عن سلالم .. هل كان الشاب المصاحب لها هو من فعل بكِ ذلك؟

(يُسرى) : من؟ .. (فريد)؟ .. لا .. (فريد) لا علاقة له بالموضوع

(الطبيب) : من إذاً؟ .. من فعل بك ذلك؟

صمتت (يُسرى) ولم تجب ..

(الطبيب) : لا تخافي القانون سيحميكِ

(يُسرى) : يحميني مِمَّن؟

أشار الطبيب بسبابته لجسدها قائلاً : ممن فعل بكِ ذلك ..

(يُسرى) : ومن فعل بي ذلك؟

(الطبيب) : ماذا تقصدين؟



(يسرى) : أنا لم أرَ أحدًا خلال ما تعرضت له .. وهذه ليست أول مرة..
لكن هذه الهجمة كانت أقسى من سابقاتها

(الطبيب) معتدلاً في جلسته منصتاً باهتمام : لا أفهم

(يسرى) : ولا أنا ..

(الطبيب) : هل تتناولين أي أدوية لعلاج أمراض مزمنة؟

(يسرى) : بعض العقاقير لعلاج ارتفاع ضغط الدم وأخرى لحالة
نفسية شخصت بها .. وصفها لي طبيب أراجع عنده منذ عام تقريباً

(الطبيب) : هل يمكنكِ تزويدي باسمه ورقمه كي أتواصل معه؟

(يسرى) : نعم لكن بشرط ..

(الطبيب) : شرط ماذا؟

(يسرى) : ألّا تدخل الشرطة بالموضوع .. أرجوك

(الطبيب) : مستحيل .. هذه جريمة ويجب الإبلاغ عنها

(يسرى) : لا يوجد جريمة بدون فاعل وأنا سأنكر كل شيء وسأدعي
أني من ألحقت الضرر بنفسي

(الطبيب) متعجباً : ولمَ تقومين بشيء كهذا؟

(يسرى) : أهلي .. لا أريد أن ألحق الأذى بهم خصوصاً أبي



(الطبيب) : أهلك رموكِ بالأمس في قسم الإسعاف ولم يكلف أي أحد منهم نفسه بالبقاء للاطمئنان عليكِ ولم ..

(يُسرى) مقاطعة : لو سمحت يا دكتور هذا شأني وأنا أقدر اهتمامك لكن ما ستقوم به سيزيد الموضوع تعقيداً .. سأتعامل مع الأمر بنفسي .. أرجوك

زفر الطبيب وهو يحدق بمريضته المصرة وقال : كما تشائين .. زوديني بمعلومات طبيبك النفسي

خرج الطبيب بعد ما حصل على المعلومات التي طلبها وبعد مضي ما يقارب الساعة دخل أبو (يُسرى) بأعين دامعة وسار مقترباً من ابنته بخطوات حذرة وهادئة كي لا يزعجها ظنّاً منه أنها نائمة لكن سيره تحول لهرولة تجاهها عندما سمعها تقول :

«أبي .. هل هذا أنت؟»

احتضن الأب يد ابنته اليمنى المجبرة بكفيه وقبلها قائلاً : «حمداً لله على سلامتك يا قرة عيني ..»

(يُسرى) باسمة من وراء وجعها : أنا بخير لا تقلق يا أبي

(الأب) وهو في حالة حزن شديد ودموعه تنهمر : ما الذي حدث؟!



(يُسرى) : ألم تخبرك أمي؟

(الأب) : أخبرتني بأنك وقعتِ عن السلم لكن بعد رؤيتك الآن علمت بأنها كذبت علي

(يُسرى) : لا يا أبي .. أمي لم تكذب عليك .. كانت سقطة قوية اصطدمت خلالها بسياج السلم عدة مرات وهذا سبب الرضوض الشديدة على وجهي وجسدي .. أين هي وأخواي؟ .. ألم يأتوا معك؟

(الأب) : قالوا بأنهم سيزورونكِ عصراً لكني لم أستطع الانتظار إلى ذلك الوقت وكان لا بد أن أراك وأن أطمئن عليكِ وكنت أنتظر في الخارج منذ الصباح حتى أذن الطبيب بزيارتك

(يُسرى) : لقد استعدت عافيتي برؤيتك يا أبي .. لا تقلق سوف أتحسن

(الأب) : سوف أبقى معكِ حتى تخرجي بالسلامة .. لقد اتصلت بمديرك في الشركة وأبلغته بأنكِ سوف تتغيبين لفترة لأنكِ مريضة فلا تقلقي بهذا الخصوص

(يُسرى) : شكراً يا أبي .. اذهب للمنزل أنت كذلك وارتحْ وعد مع أمي وأخويّ عصراً .. أحتاج أن أنام قليلاً

(الأب) : نامي لن أمنعك لكني سأبقى



(يُسرى) : إذا بقيت فسوف أنشغل بك ولن أتمكن من النوم

(الأب) على مضض : حسناً يا ابنتي كما تشائين سوف أرحل وأعود لاحقاً .. هل تحتاجين إلى شيء؟

(يُسرى) باسمة : حاجتي كانت برؤيتك وقد حصلت عليها

قبل الأب رأس ابنته ورحل ..

بعد رحيله دخلت ممرضة حاملة حقنة في يدها وقالت باسمة لـ (يُسرى) : كيف حالك اليوم؟

(يُسرى) وهي تراقب الممرضة تحقن محتوى السرنجة في كيس المغذي : «ما زلت أتوجع قليلاً ..»

(الممرضة) : هذا المسكن سيساعدكِ على احتمال الألم وسأعود لاحقاً لإعطائك الأدوية التي وصفها لكِ الطبيب لكن بعد ما تتناولين وجبة الإفطار

(يُسرى) : حسناً ..

(الممرضة) : الطبيب سمح لكِ بالزيارة لكن إن كنتِ لا تريدين استقبال أحد فيمكنك إبلاغي

(يُسرى) : لا أبداً لا أمانع أي زيارة ..



بصيص أمل وبريق طريق



بعد تناول (يُسرى) إفطارها بمعاونة الممرضة أخذت أدويتها وغفت لساعتين استيقظت بعدهما على صوت حوار دائر عند مدخل غرفتها بين الممرضة ورجل ما.

(الممرضة) : إن كانت نائمة لا أستطيع إيقاظها

- لـ .. لا بأس .. يـ .. يكفي أن أراها فقط

دخلت الممرضة وعندما شاهدت (يُسرى) مستيقظة قالت لها : «هناك زائر يريد رؤيتكِ .»



هزت (يُسرى) رأسها بالموافقة بصمت ..

خرجت الممرضة ودخل بعدها شاب بدا مألوفاً لديها يحمل باقة من زهور البنفسج وكان واضحًا عليه التوتر والارتباك ووقف عند سريرها بعد ما وضع الباقة فوق اللحاف عند بطنها وبدأ يفرقع أصابعه ويتصبب عرقاً.

(يُسرى) : من أنت؟

أجاب الشاب بنبرة متذبذبة توتراً دافعاً بسبابته نظارته التي انزلقت وتدلت على طرف أنفه بسبب تبلل وجهه بالعرق وقال : أنا .. أنا (داود) .. (داود) ..

(يُسرى) : (داود) من؟

(داود) وارتباكه يزداد : زميلكِ بالشركة من قسم المحاسبة .. سمعت من المدير و(دينا) أنكِ في المستشفى وشعرت بأنه يجب عليّ ..

(يُسرى) وعدم ارتياحها ظاهر : شكراً يا سيد (داود) .. لم يكن من الضروري حضورك

(داود) وتوتره يبلغ قمته : أعتذر .. أعتذر كان يجب ألا أحضر فعلاً فلا صفة لي كي أكون هنا .. أنا آسف بحق .. أنا .. أنا راحل الآن وأتمنى لكِ الشفاء العاجل



عندما شاهدت (يُسرى) توتره أحست بصدق كلامه ولمست فيه خوفاً حقيقياً عليها استوقفته وقالت وهي تمسح على باقة الزهور : انتظر .. ابقَ قليلاً

(داود) : هل أنتِ واثقة من ذلك؟

(يُسرى) تهز رأسها باسمة : نعم .. تفضل بالجلوس ..

جلس الشاب المتوتر على كرسي بعيدٍ عن السرير وعقد أصابعه منزلاً رأسه محدقاً بحجره ..

(يُسرى) : ما بك؟

(داود) رافعاً رأسه بسرعة : لا شيء! .. لا شيء! .. لا أريد إزعاجك فقط .. سأبقى هنا صامتاً

تبسمت (يُسرى) وهي تراقب ذلك الشاب يحاول جاهداً عدم إزعاجها وبعد أقل من ٥ دقائق من الصمت المخيم في الغرفة رن هاتفها فحملته وشاهدت أنه رقمٌ غريبٌ مضاء على شاشتها ففتحت الخط مجيبة : «نعم ..»

سمعت (يُسرى) من الطرف الآخر صوت (داود) يحدثها قائلاً : إنـ.. إنه.. أنا



التفتت نحوه لتجده ممسكاً بهاتفه عند أذنه يبتسم لها ..

(يُسرى) بتعجب : ماذا تفعل؟

(داود) مغلقاً الخط مشيراً بيد راجفة لها : كنت أريد أن أعطيك رقمي لو أحببتِ الاحتفاظ به

(يُسرى) وهي تغلق الخط : وبالطبع حصلت على رقمي من ملفي الخاص بالشركة

(داود) باسماً وكأنه قام بإنجاز : نعم!

(يُسرى) خلال تدوينها لاسمه في قائمة المتصلين : أنت معترف إذاً بأنك تتجسس عليّ

(داود) بتوتر شديد : لا! ..لا! .. أنا فقط ..

قاطعته (يُسرى) وهي تضع هاتفها جانباً بعد تخزين رقمه وقالت : «ما الذي يعجبك بي؟»

ارتبك الشاب من سؤالها المباشر وكان ظاهراً عليه أنه يجاهد نفسه لإخراج الكلمات من فمه لكنه في نهاية المطاف تمكن من التحدث : «نظرتي للناس تشبه نظرتي لعلبة التلوين .. كل قلم في العلبة له معنى ومدلول بالنسبة لي .. فلكل شخص أقابله في حياتي لون محدد .. الأمر



هو الغاضب المتعجرف .. الأصفر الحاقد الحسود .. الأخضر المبتهج المتفائل .. الأبيض العطوف صاحب القلب الطيب .. والأسود ..»

(يسرى) مقاطعة : .. الكئيب؟ .. لا .. المخيف ..

(داود) : في الواقع لا .. أراه لونًا جميلاً .. جميلاً ويساء فهمه كثيراً .. هل تعلمين بأنكِ لو خلطتِ جميع الألوان فستحصلين على اللون الأسود؟

(يسرى) : وما لوني أنا؟

(داود) بتحرج : لون جديد عليّ .. لم أشاهده من قبل لكنه أعجبني .. اللون البنفسجي

(يسرى) باسمة : أحب هذا اللون .. ألهذا أحضرت لي باقة من زهور البنفسج؟

تبسم (داود) وهز رأسه موافقاً ثم قال : ماذا عني؟ .. هل ترين لوني؟

(يسرى) : نعم .. أراك رمادياً ..

(داود) : وهل تحبين هذا اللون؟

قوطع حديثهما بدخول الممرضة وهي تقول : «حان موعد الحقنة ..»

نهض (داود) من مكانه بسرعة وحنى رأسه بطريقة غريبة وقال :

«أتمنى لك الشفاء العاجل ..»



كدماتكِ المعتادة أنتِ كمن سقط عليه حائط! .. والمتحرش الأحمق يقول لي إن الأمر بسيط!

ضحكت (يُسرى) بتوجع قائلة : لا تضحكيني فهذا يؤلم!

(دينا) : أنا أتكلم بجدية! .. ما الذي حدث؟!

(يُسرى) زافرة : لا أعرف ..

(دينا) وهي تمسح على زند صاحبتها : الكوابيس ..؟

(يُسرى) مشيرة بسبابتها لوجهها : وهل الكوابيس تتسبب بهذا؟

(دينا) : ماذا إذًا؟ .. هل تجرأ أخوك البغيض أخيراً ونفذ تهديداته؟

(يُسرى) : لا .. (فريد) لا علاقة له بالأمر بالرغم من أنه تحت الشبهات لأنه دخل غرفتي وقتها

(دينا) : وقت ماذا؟

(يُسرى) : لا أدري يا (دينا) حقيقة لا أدري .. أنا دائماً ما أحكي لكِ ما أتعرض له من نوبات خصوصاً عندما يتعلق الأمر بحضور أناس لخطبتي

(دينا) : نعم وكنا دائماً نعزو ذلك لتوترِكِ وقد أكد لكِ طبيبكِ النفسي ذلك .. حتى الكدمات قال بأنها ردة فعل من جسمكِ بسبب رفضكِ فكرة الزواج



(يُسرى) : المشكلة هي أني لم أكن دائماً رافضة للفكرة لكن مع الوقت وتكرار ما يحدث لي وقتها كرهتها وكرهت ذكر الزواج أمامي

(دينا) بتوجس : ماذا تقصدين؟

(يُسرى) : لا أعرف .. لا أعرف ..

(دينا) : حسناً .. انسي الأمر وسنتحدث فيه لاحقاً .. أخبريني الآن عما هو أهم بالنسبة لي من تماثلكِ للشفاء

(يُسرى) باستغراب : عن ماذا تتحدثين؟

(دينا) باسمة بخبث : ما الذي كان يفعله السيد (داود) هنا؟ .. لقد لمحته يخرج من غرفتك قبل قدومي .. هل ظننتِ أني لن أنتبه له وسيبقى الأمر سرّاً بينكما .. كنت واثقة من أن هناك شيئاً تخفينه علي

(يُسرى) ساخرة منها : أنتِ واهمة

(دينا) بتهكم : واهمة؟ .. بل كنت مغفلة .. تقولين إذاً بأنكِ لا تعرفينه ولا تذكرينه؟ .. ماذا عن هذه الباقة الجميلة بين يديك؟

(يُسرى) : يا حمقاء أنا لم أتمكن حتى من رؤية وجهه بوضوح بسبب تورم عينيّ حتى عرف بنفسه

(دينا) : أنا رأيت وجهه بوضوح خلال خروجه وصدقيني من ينسم



سعادة بتلك الطريقة بعد رؤيتكِ بهذه الحالة المزرية يستحق أن تتعلقي

به وتكبليه بالسلاسل

(يُسرى) ماسحة على أوراق زهور الباقة : عندما أتحرر أنا سأفكر

بتكبيل غيري ..

(دينا) : هل سمعتِ ما حدث بالأمس في المستشفى؟

(يُسرى) : أنا لم أستيقظ إلا صباح اليوم فكيف سأسمع .. ماذا حدث؟

(دينا) : الخبر منتشر في جميع الجرائد .. يقولون إن فتاة تعرضت لهجوم

من امرأة عجوز حاولت قتلها في غرفتها

(يُسرى) والخوف يعتريها : خبر مريع .. وهل نجحت؟

(دينا) : أقول لكِ: «حاولت» .. لا لم تنجح .. تدخل إخوتها في

اللحظة الأخيرة وأنقذوها .. لكن للأسف العجوز هربت والشرطة

تبحث عنها

(يُسرى) بحزن : ليت لي إخوة يذودون عني هكذا ..

(دينا) وهي تشد على يد صاحبتها : أنا أختك وسأحميك بكل ما أوتيت

من قوة

(يُسرى) باسمة : أعرف يا سر ابتسامتي ..



بعد مضي ما يقارب الأسبوع على بقاء (يُسرى) في المستشفى وتردد أبيها و(دينا) عليها من وقتٍ لآخر دخل الطبيب على (يُسرى) وجلس معها وقال :

«لقد تحسنتِ كثيراً وسوف أكتب لك تصريحاً بالخروج اليوم ..»

(يُسرى) : شكراً يا دكتور لكل ما قدمته لي

(الطبيب) : كان ذلك واجبي بالرغم من أني قصرت فيه بعدم إبلاغ الشرطة

(يُسرى) : وأنا ممتنة لأنك لم تقم بذلك

(الطبيب) : لقد اتصلت بالطبيب الذي زودتني برقمه لأستفسر منه عن بعض تفاصيل المرض النفسي الذي قلتِ بأنه شخصكِ به

(يُسرى) : وماذا قال ..؟

(الطبيب) : لم يقل شيئاً لأنه لم يجب على أيٍّ من اتصالاتي

(يُسرى) : غريبة ..

(الطبيب) : والأغرب من ذلك هو أني وبعد السؤال والتقصي وجدت رقم عيادته واتصلت به ولم أجد أي إجابة كذلك .. متى كانت آخر مرة زرته فيها؟



(يُسرى) مستذكرة : قبل دخولي المستشفى بأسبوع تقريباً؟

(الطبيب) : هل حدث شيء بينكما في لقائكما الأخير يستحق أن تذكريه لي؟

(يُسرى) : لا شيء سوى أني تشاجرت معه قبل رحيلي .. لكنها لم تكن المرة الأولى

(الطبيب) : لَمَ تشاجرتِ معه؟

(يُسرى) : لأنه أحياناً يكون فظّاً في تعليقه على صراحتي معه وأنا لا أحب طريقته في تسخيف كلامي

(الطبيب) : تصرف غريب من طبيب من المفترض أنه يتعامل مع مرضاه بطريقة مهنية أكثر

(يُسرى) : هذا ما يحدث من وقتٍ لآخر معه لكني لا أسكت له

(الطبيب) : على أي حال لا تشغلي بالكِ في الوقت الحالي بهذا الموضوع وركزي على التماثل للشفاء .. سوف أحرر لكِ إجازة مرضية لمدة شهر بسبب الكسر بمعصمك الأيمن وأريدكِ أن تأتي للمراجعة مرة في الأسبوع .. اتفقنا؟

(يُسرى) : حاضر يا دكتور



(الطبيب) ناهضاً من مكانه : لو رغبتِ الحديث عن حقيقة ما حدث فبابي مفتوح لكِ ويرحب بكِ في أي وقت

(يُسرى) : شكراً .. ممتنة لك مجدداً

هز الطبيب رأسه بصمت وخرج ..

عادت (يُسرى) ذلك اليوم مع أبيها وأخيها اللذين أتيا في موعد الزيارة مساءً وأنهيا إجراءات خروجها وخلال الطريق وبينما هي جالسة في المقعد الخلفي تحدث أخوها معها وقال بنبرة صادقة : « حمداً لله على سلامتكِ .. سعيد بأنكِ أصبحتِ بخير .. »

(يُسرى) ونظرها للنافذة : شكراً يا أخي ..

(الأب) : جميعنا سعداء بعودتكِ .. البيت مظلم بدونكِ

(يُسرى) باسمة : وحياتي أكثر ظلمة بدونك يا أبي

(فريد) محاولاً تجاذب المزيد من الأحاديث مع أخته : كنت أريد زيارتكِ لكن ..

(يُسرى) مقاطعة : لا داعي للتبرير .. أنا متفهمة .. أمي زارتني مرة مع (رجاء) قبل يومين عندما أحضرتا لي بعض الملابس وهذا أكثر من كافٍ .. لم أفتقدكم بوجود أبي بجانبي كل يوم



أعاد (فريد) نظره للأمام وأكمل القيادة بصمت والإحباط والخيبة يعتريان وجهه ..

وصل الثلاثة لمنزلهم قرابة السابعة مساءً وتخلل عودة (يُسرى) لبيتها استقبال بارد نوعاً ما من أمها وأختها بعكس سعادة أبيها الغامرة والواضحة في حديثه وأفعاله عندما قادها بنفسه لغرفتها وبقي معها خلال إفراغ حقيبة ملابسها وحاجياتها التي عادت بها من المستشفى.

شعرت (يُسرى) أن أباها يواجه مشكلة بالخروج من غرفتها لشعوره بالخوف عليها فقالت له باسمة وبنبرة مطمئنة : «لا تقلق يا أبي سأكون بخير ..»

(الأب) بهم وحزن : دائماً ما ترددين العبارة نفسها .. أصدقها ولا أصدقها في الوقت نفسه .. لو كنت موجوداً معكِ ليلتها لما حدث ما حدث ..

(يُسرى) مقاطعة : لا تقل ذلك ولا تلم نفسك أبداً . .هذا شيء مقدر ولن يتكرر بإذن الله

نهض والدها بثقلٍ وقال بصوت متحشرج بالوجع والحزن : «حسناً يا عزيزتي سأتركُكِ لترتاحي ولو احتجتِ لأي شيء فأنا موجود في غرفة المعيشة بالأسفل ..»



(يُسرى) وهي تلقي بهاتفها على سطح سريرها : حاضر يا أبي ..

أغلقت (يُسرى) الباب بعد خروجِ أبيها وأقفلته ثم قامت بخلع ملابسها لتأخذ حماماً تاقت له طويلاً وقبل أن تدخل للحمام وقفت أمام المرآة تتأمل الرضوض والكدمات والجروح المنتشرة على أجزاء متفرقة من جسدها ثم قامت بالمسح بيدها المجبرة على وجهها الذي لم يكن بحالة أفضل وقالت محدثة نفسها : «ما الذي حدث ذلك اليوم؟..»

بعد ما انتهت من أخذ حمامها الساخن لفت جسدها ورأسها بفوطة بيضاء وخرجت لتجد أن هاتفها يرن فسارت نحوه والتقطته من فوق السرير لترى أن المتصل هو (دينا). فتحت الخط بعد جلوسها على طرف السرير وقالت ضاحكة :

«اشتقت لسماع صوتك يا حرباء! .. لِمَ لم تزوريني اليوم كما وعدتني؟!»

(دينا) وهي تبادلها الضحك : وأنا أيضاً يا أفعى! .. أعتذر .. خطيبي الأحمق أصر على تناول الغداء معي اليوم بسبب عيد ميلاده السخيف! .. دعكِ منه .. كيف حالك الآن؟

(يُسرى) : بخير بعد ما أخذت حمامي الساخن .. ثم حتى لو خرجتِ مع خطيبك فهذه ليست حجة كي لا تتصلي بي حتى الآن .. إنها التاسعة مساءً!



(دينا) : لا أعرف .. لم أشأ إزعاجكِ .. أنا مخطئة بالفعل .. آسفة

(يسرى) ضاحكة : أنا أشاكسكِ فقط .. أعرف أن موعد زفافك قد اقترب وافترضت أنكِ مشغولة بالتجهيز له

(دينا) : لا أبداً لا علاقة لهذا الأمر باختفائي ..

(يسرى) : حسناً أيتها المتذاكية .. أين كنتِ مختفية خلال الأيام السابقة فأنتِ لم تزوريني إلا مرتين فقط؟

(دينا) بشيء من التردد : في الحقيقة لقد أمضيت الأيام الفائتة في البحث ..

(يسرى) : البحث عن ماذا ؟

(دينا) : عن تفسير لما حدث لكِ

(يسرى) : وهل نحن نعرف ما حدث كي نبحث عن تفسير له؟

(دينا) : لا ولكني اعتمدت على كل ما كنتِ تحكينه لي في الماضي

(يسرى) : ماذا تقصدين؟

(دينا) : لقد وجدت كتاباً فسر الكثير من الأمور الغريبة التي حكيتِها لي

(يسرى) بتوجس : كتاب؟ .. كتاب ماذا؟ .. ومن أين حصلتِ عليه؟

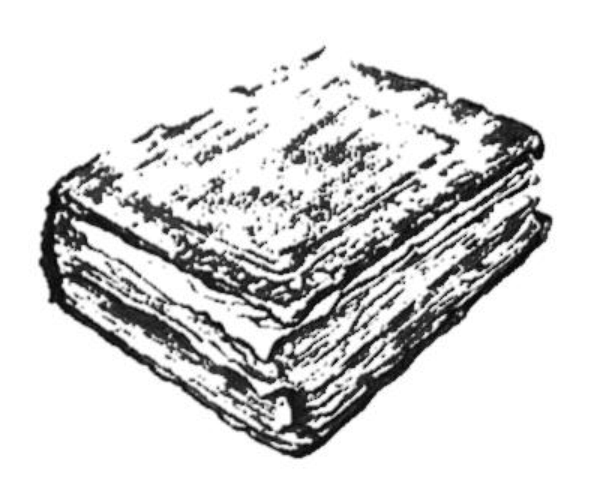


(دينا) : لا عليك هذا ليس مهماً الآن .. المهم هو أن تجيبي على بعض الأسئلة كي أتحقق من أن النتيجة التي وصلت إليها صحيحة

(يُسرى) : حـ .. حسناً .. ماذا تريدين أن تعرفي؟



كشف الحجاب وإشعال الثقاب



(دارين) : أريد أن أعرف أولاً عن تلك الكدمات التي تظهر على جسدك من وقت لآخر .. ما حكايتها؟

(يسرى) : لقد أخبرتك سابقاً . . فهي تظهر على جسدي بين الفينة والأخرى بعد استيقاظي من النوم ولا أعرف سببها أو مصدرها وقد شخصها الأطباء بأنها حالة مرضية طبيعية مثل الحساسية المفرطة التي يعاني منها عدد كبير من الناس وتجعلهم يصابون بالكدمات بسهولة ومن أقل احتكاك أو اصطدام مثل تقلبهم خلال نومهم

(دينا) : ومنذ متى بدأت هذه الحالة معكِ؟



(يُسرى) مستذكرة : عندما كنت في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة تقريباً

(دينا) : ماذا عن الكوابيس التي تحدثينني عنها دائماً .. هل ظهرت في الفترة نفسها؟

(يُسرى) : نعم تقريباً ..

(دينا) : ما مضمونها؟

(يُسرى) : لِمَ كل هذه الأسئلة؟

(دينا) : اعتبريني طبيباً يحاول تشخيص حالتكِ

(يُسرى) : لكنكِ لستِ طبيباً

(دينا) : لا لكني صديق يهتم لأمرك وسيصدقكِ مهما كان كلامكِ غير منطقي

(يُسرى) : ولِمَ افترضتِ أن ما سأقوله سيكون غير منطقيٍّ؟

(دينا) : أخبرتكِ بأن لدي حدساً وأريد التحقق منه .. هيا .. أخبريني عن مضمون تلك الأحلام أو الكوابيس ولا تخفي شيئاً

(يُسرى) زافرة : لقد سألني الطبيب النفسي السؤال ذاته في عدة مناسبات وفي الحقيقة لم أعطِه إجابة كاملة بل أنقص بعض التفاصيل التي لم أجد في نفسي رغبة لإخباره بها لأني رأيت في عينيه عدم التصديق عندما أسترسل في الحديث وأحياناً الشك والتكذيب لكني سأخبرك أنتِ



(دينا) : وأنا منصتة ..

(يُسرى) : كوابيسي متنوعة الأحداث لكنها تتمحور حول المضمون نفسه .. شخص غريب لا أستطيع رؤية ملامحه .. يطاردني تارة وتارة أخرى يطبق على خناقي وكأنه يريد قتلي وفي بعض المرات يكون عطوفاً معي ويعانقني ويعاملني بحميمية فائقة لكن لا يلبث أن ينقلب وكأنه يريد التهجم والاعتداء عليّ وأستيقظ مفزوعة وأرى تلك الكدمات على جسدي ومع الوقت صاحب تلك الكدمات بعض الجروح وتساقط لشعري

(دينا) : هل الكدمات والجروح تظهر في أماكن محددة بجسدك أم أنها متنوعة ولا مكان معيناً لها؟

(يُسرى) : متنوعة لكن بالفعل لاحظت أن هناك أماكن دون غيرها تتركز فيها تلك الإصابات مثل عنقي وأطرافي ووسط فخذي وأحياناً أسفل ظهري

(دينا) : ما هي علاقتك مع الحيوانات الأليفة؟

(يُسرى) : غريبة أن تسألي مثل هذا السؤال

(دينا) : وما الغريب في ذلك؟

(يُسرى) : منذ صغري وأنا أعاني مشكلة معها بالرغم من حبي الشديد



لها ولتربيتها .. لا أحد منها يعمر معي ولأسباب غالبها غريب أو بلا تفسير منطقي .. فأي حيوان أليف أقتنيه أو يهدى لي لا يعيش أكثر من يوم أو يومين كحد أقصى وكنت أبكي بشدة عند موت أحدها فيرق قلب أبي ويبتاع لي حيواناً أو طائراً آخر وتتكرر العملية مجدداً مع الحيوان البديل حتى اقتنعت أمي أو بالأصح أقنعت نفسها بأني أنا من كان يقتلها بحثاً عن لفت الأنظار وأني مصابة بخلل ما في عقلي.. أعتقد في تلك الفترة بدأت مشكلاتي الحقيقية معها

(دينا) : دعيني أخمن .. هذا كان عندما كنتِ في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمركِ

(يُسرى) : نعم صحيح كيف عرفتِ؟

(دينا) : وهي نفسها فترة بلوغكِ ..

(يُسرى) وهي تزداد ريبة ورهبة من توقعات صاحبتها المصيبة : هل حقاً أنتِ تخمنين أم أن هناك شيئاً تخفينه علي؟

(دينا) : هل تسمعين أصواتاً خلال يقظتك؟

صمتت (يُسرى) ولم تجب ..

(دينا) : لَم سكتِّ؟



(يُسرى) : حديثنا هذا جعلني أستذكر بعض الأمور من الماضي .. أمورٌ مررت بها وما زلت أمر بأشياء مشابهة لها لكني أتجاهلها وأحاول تناسيها قدر الإمكان

(دينا) : حدثيني عنها كلها ولا تتركي شيئاً

(يُسرى) : لا أعرف من أين أبدأ ..

(دينا) : لا يهم أن تكون متزامنة فقط تحدثي عن كل ما يخطر ببالكِ ووجدتِ أنه غريب ومريب

(يُسرى) : هناك أمور بسيطة يمكن تفسيرها بشكل منطقي لكن تكرارها هو ما كان يقلقني .. كفقداني للكثير من أشيائي وحاجياتي الخاصة مثل أمشاطي وبعض قطع الحلي وأحياناً ملابسي الداخلية .. لا أبالغ عندما أقول لكِ إني خصصت جزءاً من راتبي فقط لتعويض ما أفقده من هذه الأشياء بشكل شهري .. ومن وقت لآخر تظهر تلك الأشياء مجدداً على السطح .. بطريقة غريبة جدّاً

(دينا) : غريبة كيف؟

(يُسرى) : أجدها مثلاً على المنضدة بجانب سريري عندما أعود من العمل أو أخرج من الحمام .. هكذا بكل بساطة وكأنها ظهرت من العدم ولم أستطع اتهام أي أحد من أهلي .. ماذا سأقول لهم؟ .. من



سرق ملابسي الداخلية وأعادها لي؟ .. كنت أشعر بالضيق الشديد ولم أكن أعرف ماذا يتوجب عليّ القيام به لذا تجاهلت الأمر برمته واعتدت عليه

(دينا) : وأنتِ .. ما تفسيركِ للأمر؟

(يسرى) : في الحقيقة أشعر معظم الوقت بأن هناك من يراقبني ويحوم حولي في كل مكان ويزداد هذا الشعور عندما أكون وحدي .. في غرفتي على وجه الخصوص .. أوقاتاً يهيأ لي أني أسمع أحداً ينادي باسمي بصوت خفيض كالهمس وأوقاتًا أخرى أشعر بأن هناك من يلمسني خاصة خلال محاولتي النوم .. شعري .. أكتافي .. كثيراً ما ينتابني إحساس بالخوف والوحشة بدون سبب يقف على أثرها شعر ذراعي لكن لا شيء يكون صريحاً ومباشرًا ..

(دينا) : بمعنى أحاسيس قوية تكاد تكون واقعًا ..

(يسرى) : بالضبط .. وكأن حواسي كلها ترى وتشعر بكل شيء لكن عينيّ مصابتان بغشاوة ما تمنعني من التيقن ..

(دينا) : هل هناك مواقف أخرى مشابهة؟

(يسرى) : المواقف كثيرة .. فعلى سبيل المثال قبل عدة أسابيع بعد أن أخذت حماماً ساخناً قبل النوم كعادتي وأصبت بشيء من الدوار بسبب



الأبخرة الساخنة المتصاعدة قررت النوم مباشرة دون تصفيف شعري أو تنشيفه واستلقيت مباشرة على السرير لأستعيد توازني ووقتها أقسم أني شعرت بأن أحدًا تحسس جسدي ثم احتضنني من الخلف .. كان الشعور حقيقيّاً جدّاً وليس مجرد إحساس .. لقد كان هناك شخص يشاركني الفراش تلك الليلة والغريب أنه وبالرغم من إحساسي بالجزع الشديد إلا أني لم أقوَ على الحركة أو النهوض .. كنت كالمخدرة أو المشلولة وبقيت على تلك الحالة لعدة دقائق شعرت خلالها وكأن أحداً ينتهك جسدي بشكلٍ غير لائق وأنا عاجزة عن منعه أو حتى الصراخ حتى هبت نسمة باردة أخرجتني من تلك الحالة لأنهض مباشرة صارخة بكل قوتي ملتفتة خلفي وبالطبع لم أجد شيئاً ..

(دينا) : هل هذه الأمور لا تحدث إلا في غرفة نومكِ؟

(يُسرى) : غالباً لكن ليس حصراً .. فالشعور ذاته يراودني أحياناً عندما أتشاجر مع أمي أو أحدٍ في عملي .. عندما أشعر بالحزن أو القهر ينتابني إحساس بأن هناك من يحتضنني .. هذا أمر طبيعي أليس كذلك؟ .. كلنا نشعر بذلك من قت لآخر

(دينا) : بصراحة لا .. أصدقكِ القول بأني لم أشعر بذلك قط .. أحلم نعم ويكون الحلم أحياناً قريبًا جدّاً من الواقع وكأنه حقيقة مهما كانت



غرابته .. لكن ليس كما وصفتِ خلال يقظتك .. ماذا عن الحمام؟ .. أي مواقف غريبة حدثت فيه؟

(يُسرى) : الحمام يأتي في المرتبة الثانية بعد غرفتي من حيث وقوع الأحداث الغريبة .. وأيضاً لا أعرف هل هي طبيعية وأنا أبالغ في تفسيرها أم أنها بالفعل شيء خارج عن المألوف

(دينا) : مثل ماذا؟

(يُسرى) : أنا أكره الماء البارد .. سواء عند غسل وجهي أو الاستحمام وأحب أن يكون الماء بدرجة حرارة عالية لدرجة أن جلدي يكون محمرّاً عندما أنتهي لكنني أستمتع بذلك وأجده مريحاً جدّاً لي والأمر الغريب الذي يحدث معي هو تعطل السخان بشكل متكرر حتى لو قمت بشراء سخان جديد فإنه لا يدوم فترة طويلة حتى يتعطل وأضطر للاستحمام بالماء البارد لعدة أيام حتى يرق قلب أخي ويقوم بإصلاحه خاصة وأنه تضجر من تكرار أعطاله بعكس بقية السخانات في المنزل

(دينا) : لعل المشكلة في التوصيلات الكهربائية ..

(يُسرى) : حاولت بكل الطرق وكل الفنيين الذين حضروا لإصلاحه كانوا متعجبين ومحتارين من سبب الخلل المتكرر ولم يجدوا تفسيرًا منطقيًا لما يحدث مهما كشفوا على التمديدات



دينا) : هذا فقط ما يحدث في الحمام؟

يسرى) : لا .. ففي إحدى المرات لم أستطع إغلاق الباب خلفي .. قصد أن درفته توقفت في منتصف الطريق خلال دفعي لها لإغلاقها وكأنها تجمدت ومهما دفعتها لم تتحرك من مكانها قيد أنملة وعندما اديت على (رجاء) لمساعدتي تحرك الباب بكل سهولة وبدوت أمامها بالطبع كالمعتلة ورمقتني بنظرة عبرت عن ذلك بها قبل أن ترحل

(دينا) : أمر غريب بالفعل ..

(يُسرى) : علاقتي مع الماء عموماً غريبة ..

(دينا) : ماذا تقصدين؟

(يُسرى) : مدينتنا لا تطل على بحرٍ كما تعلمين لذا وعندما سافرنا مرة لإحدى المدن الساحلية كنت متشوقة جدّاً للسباحة والعوم في البحر لأنها أول مرة أشاهده فيها .. وقتها كنت في الثامنة عشرة على ما أذكر وكان بصحبتنا بعض خالاتي وأطفالهنّ وأزواجهنّ .. كانت رحلة كبيرة والموقف الذي حدث لي ذلك اليوم لا ينسى .. نوبات الدوخان والدوار في ذلك الوقت أصبحت أمراً طبيعيّاً وأهلي اعتادوا عليها بعكس أقربائنا الذين عندما شاهدوني أترنح أمامهم قليلاً قبل أن أهم بالسباحة شعروا بالقلق عليّ لكني طمأنتهم وسرنا نحو الشاطئ معاً



بالرغم من أني كنت أشعر أن كل خطوة أخطوها تجاه البحر تزداد ثقلاً عن التي قبلها مع اقترابي من الشاطئ وكأني والبحر كقطبي المغناطيس المتنافرين ومع هذا تحاملت على نفسي وقاومت وتقدمت وقبل أن تلامس أقدامي الماء بأمتار قليلة لم أتمكن من الاحتمال أكثر فالضغط على رأسي وجسدي كان في قمته ووقعت مغشياً عليّ لكن ذلك لم يكن الغريب في الموضوع فمن اجتمعوا حولي وحاولوا إيقاظي لجؤوا في لحظة ارتباكهم لإحضار بعض الماء من البحر لغسل وجهي بحكم أن مكان تجمعنا بعيد عن مكان سقوطي وهنا حدثت الكارثة

(دينا) : كارثة؟

(يُسرى) : نعم .. ما أن لامس الماء المالح وجهي حتى دخلت في حالة أشبه بالصرع وكأن تياراً كهربائياً مر بجسدي وبقيت أتقلب وأنتفض ولم أهدأ إلا بعد مدة طويلة .. أفسدت الرحلة ذلك اليوم وشعرت بالإحراج الشديد وعدنا جميعاً لمكان إقامتنا وألغينا الرحلة برمتها والتشخيص الطبي لحالتي وقتها كان ببساطة هو أني أعاني من صرع وعدم استقرار في ضغط الدم لكني كنت متيقنة من أن ماء البحر كان السبب وقد جربت ذلك بنفسي لاحقاً

(دينا) : جربتِ كيف؟



(يسرا) : أذبت بعض الملح في كأس ماء ووضعت أصبعي فيه .. لم يحدث لي ما حدث عندما كنا في البحر لكني شعرت ببعض الوخزات غير الطبيعية .. وخزات خفيفة كتيار كهربائي ضعيف

(دينا) : فهمت الآن لَم ترفضين الخروج معنا في رحلات الشركة الخلوية

(يسرى) بغضب : هل تلمحين إلى أني أصبت بعقدة نفسية بسبب ذلك اليوم؟! .. أمر طبيعي أن أكون شخصاً لا يحب التجمعات المزدحمة!

(دينا) : أنت بلا شك لستِ طبيعية يا عزيزتي

(يسرى) : لست طبيعية لأني لا أحب الخروج معكم؟

(دينا) : غير طبيعية لعدة أسباب وما سمعته الآن أكد لي ذلك .. دعيني أسألك سؤالاً أخيراً

(يسرى) : تفضلي ..

(دينا) : هل حدث وأن بقيتِ وحدكِ بالمنزل من قبل؟ .. أقصد بدون وجود أي أحد من أهلك

(يسرى) : مرة واحدة فقط عندما سافروا لحضور حفل زفاف ورفضت مرافقتهم

(دينا) : وهل حدث شيء في تلك الليلة التي قضيتِها وحدكِ؟



صمتت (يُسرى) لثوانٍ ثم قالت بصوت مرتعش :

«قضيت أسوأ ليلة في حياتي .. الليلة التي بعدها قررت مراجعة الطبيب النفسي .. كنت في أسوأ حالاتي بعد تلك الليلة العصيبة وهو من تمكن من إقناعي بأن ما حدث مجرد أوهام من صنع خيالي ومكنني من تجاوز تلك الواقعة بالكثير من العقاقير القوية والجلسات المتنظمة ..»

(دينا) : معنى ذلك أن هذا حدث قبل عام

(يُسرى) : نعم تقريباً ..

(دينا) : هل ترغبين في الحديث عما جرى تلك الليلة ..؟ .. يمكننا تجاوز هذه النقطة إن كنتِ لا تقوين أو لا تريدين ذلك

(يُسرى) : بالعكس .. حديثي معكِ الآن هو أفضل شيء قمت به .. الحديث مع من يصدقك مريح للنفس بعكس ما كنت أشعر به مع ذلك الطبيب المتعجرف .. أنتِ تصدقينني أليس كذلك؟

(دينا) : أصدق كل حرف نطقتِ وستنطقين به .. ماذا حدث في تلك الليلة .. ؟

هتك وانتهاك



حكت (يُسرى) عن ذلك اليوم الذي رحل فيه أهلها لمدينة أخرى لحضور حفل زفاف أحد أبناء خالاتها وبالرغم من محاولات أبيها كي ترافقهم دون حضور الحفل نفسه إلا أنها رفضت وتمنعت وأمها لم تكن متحمسة لقدومها من الأساس لأنها وكما كانت تقول: «وجودها معنا ينتهي بمصيبة دوماً ..».



خلا البيت عصراً بعد خروج الجميع بنية أنهم سيغيبون ليوم واحد فقط وسيعودون أول الصباح وحسب ما ذكرت (يُسرى) لصَديقتها فإنه ومنذ الساعة الأولى بعد رحيلهم أحست بأمور غريبة تحدث لها وحولها بدأت بعد حلول المغرب تقريباً أولها كان رؤيتها لظل شخص يتحرك بين الغرف وتذبذب للأنوار من وقتٍ لآخر وأصوات طرق ووقوع بعض الأشياء في الغرف والحمامات المنتشرة في المنزل.

فكرت في الوهلة الأولى بإبلاغ الشرطة لكنها ترددت كونها لا تملك شيئًا ملموسًا لتبلغ عنه ناهيك عن توعد أمها لها بأنها لو تسببت بأي مشكلة خلال غيابهم فسوف تعاقبها أشد عقاب وخشيت تخييب أمل أبيها الذي دافع عنها عند أمها بقوله :

«ابنتي عاقلة ورزينة ولن يحدث شيء مما يدور في عقلكِ ..»

بلغ التوتر قمته ذلك اليوم قبل منتصف الليل بدقائق عندما قررت (يُسرى) تجاهل كل شيء والخلود للنوم بعد أن أخذت حمامها المعتاد والتعطر بعطرٍ كانت قد اشترته مؤخراً. استلقت على السرير وغطت نفسها ببطانية ثقيلة كون الوقت كان أواخر فصل الشتاء والأجواء لا تزال باردة خصوصاً في الليل وبعد إغماضها لعينيها بأقل من دقيقة سمعت طرقاً على باب غرفتها .. ثلاث طرقات بطيئة ومتباعدة لكنها كانت ثابتة وواضحة .. تجمد الدم في عروقها وهي تزيل الغطاء عن وجهها وتوجه نظرها لمدخل غرفتها.



لم يكن هناك أي نور مشعل وقتها فـ (يُسرى) تحب النوم في الظلام الدامس لكن الرؤية لم تكن معدومة بالكامل وتفاصيل الباب كانت واضحة بعض الشيء. بقيت الفتاة مخطوفة القلب رعباً تصارع أفكارها وهواجسها عن مصدر تلك الطرقات ولم تجد تفسيرًا سوى أن هناك لصّاً قد تمكن من التسلل للمنزل لسرقته.

مدت يدها وأخذت هاتفها من فوق المنضدة المجاورة لسريرها وهمت بالاتصال على الشرطة لكنها وقبل أن تدخل الرقم حدثت نفسها متفكرة:

«أي نوع من اللصوص يطرق الباب ..؟»

في تلك اللحظة استجمعت قواها ونهضت من سريرها وسارت نحو الباب حتى وقفت أمامه واضعة يدها على مقبضه لكنها ترددت بإدارته واكتفت بإقفاله والعودة لفراشها.

غطت وجهها باللحاف وبقيت ساكنة ومستيقظة لمدة طويلة لأن النوم هجرها لكن ما حدث بعد مضي ما يقارب ربع الساعة على تلك الحالة هو أنها شعرت ورأت بعينيها اللحاف وهو يُسحب تدريجيّاً من أسفلها بحركة بطيئة حتى كشف عن وجهها بالكامل فرفعت رأسها ترى ما الذي يحدث أسفل منها وهنا حدثت الهجمة الأولى تلك الليلة. وصفت (يُسرى) ما حدث لها بأنها أحست بقوة خفية تدفع



وجهها للخلف وتثبت رأسها لمخدتها بينما سحب لحافها من عليها بالكامل بحركة خاطفة تبعها شعورها بضيق وألم في صدرها وبطنها وكأن جسماً ثقيلاً قد حط عليها. لم تكن تستطيع التحرك أو الصراخ طلباً للنجدة لأن جزءًا من ذلك الضغط وقع على عنقها وكان يخنقها بدرجات متفاوتة مكنتها من وقتٍ لآخر من أخذ أنفاسٍ منعتها من فقدان الوعي بالكامل.

استمرت تلك النوبة الغريبة وتفاقمت مع تألمها من بعض الوخزات في أجزاء متفرقة من جسمها تحولت لما يشبه الضربات اللاسعة. بلغت الهجمة ذروتها مع نهايتها حيث تركز الهجوم على وجهها وكان شعورها أن يدًا باردة تغطي وتضغط بقوة على عنقها حقيقياً بالرغم من أنها لم تكن تستطيع رؤية شيء ملموس أمامها وتزامن ذلك مع إحساسها بيد أخرى تتحسس الجزء العلوي من جسدها بطريقة غير لائقة تبعها عدة صفعات قوية على وجهها شتتتها للحظات لكنها في الوقت نفسه كسرت حاجزاً ما مكنها من الصراخ بكل قوتها مما زاد من عنف ووحشية تلك الضربات حتى فقدت الوعي.

استيقظت (يسرى) ظهيرة اليوم التالي وفتحت عينيها المتورمتين والمزرقتين بالكدمات على اتصال من أبيها الذي قال بعد سماع صوتها وإدراكه أنه أيقظها من النوم :



«المعذرة يا عزيزتي لم أقصد إيقاظكِ .. كنت أريد الاطمئنان عليكِ فقط ..»

(يُسرى) ناهضة من فراشها بجسد متوجع وملابس ممزقة جزئياً:

«لا أبداً يا أبي .. لقد أطلت في النوم وكنت أريد الاستيقاظ ..»

(الأب): «هل أنتِ بخير .. صوتكِ مختلف ..»

(يُسرى) وهي ترى نفسها في المرآة المدمجة في دولابها أمام سريرها: «متى ستعودون؟»

(الأب): كان من المفترض أننا وصلنا بالفعل لكن خالتكِ أصرت على أمكِ بالبقاء أكثر فقمنا بتأجيل رحلتنا للغد

(يُسرى): سأبقى الليلة وحدي إذاً؟

(الأب) بقلق بعد ما استشعر شيئاً غير مريح في نبرة صوت ابنته:

«يمكنني أن أتركهم وآتي مبكراً . .يمكنني استئجار سيـ..»

(يُسرى) مقاطعة: لا يا أبي لا تقلق .. سوف أكون بخير

تلك الليلة تكررت الهجمة وبشكل أقوى وأقسى من الليلة السابقة لكنها لم تحدث خلال منامها بل خلال استحمامها لذا وعندما وصل أهلها في الصباح وجدوها مغمىً عليها على أرضية دورة المياه تنزف وافترضوا أن قدمها زلت لكن وبعد الفحوص الطبية واكتشاف



جروح غريبة على أماكن متفرقة من جسدها ناجمة عن شيء حاد وليس عن اصطدام بسطح صلب اقتنع الجميع بأنها كانت تحاول الانتحار وقرروا عرضها على طبيب نفسي ليشخص حالتها.

(دينا) : هل أخبرتِ أحداً من قبل بما أخبرته لي للتو؟

(يُسرى) : لا .. لا أحد .. فقط الطبيب النفسي الذي بدأت أراجع عيادته بعد خروجي من المستشفى والذي كان من الواضح أنه لم يصدقني واكتفى بزيادة جرعة الدواء لي في كل مرة أتحدث فيها عن الموضوع لذا لم أحكِ له عن الهجمات الأخرى التي تلتها في الأيام الأخرى

(دينا) : هجمات أخرى ..؟

(يُسرى) : نعم .. الهجمات التي كان يسميها أهلي نوبات .. كنت وما زلت مقتنعة أن هناك شيئاً ما يهاجمني .. ومع تكرار تلك الهجمات بدأت ألاحظ أن هناك مؤشرات تسبق قدومها .. البرد القارس الذي يحط بغرفتي .. شعوري باللمسات خلال يومي بشكل أكثر من المعتاد .. لكن المؤشر الذي لا يحتمل الخطأ هو الرائحة

(دينا) : أي رائحة؟

(يُسرى) : رائحة مميزة .. رائحة لا تظهر إلا في اليوم الذي يقرر فيه مهاجمتي .. زكية بطريقة بشعة .. كأنها عطر فاسد .. هل تفهمين ما أقصد ..؟



(دينا) : هل لاحظتِ أمورًا أخرى تخص تلك الهجمات؟

(يُسرى) : الوقت .. بالرغم من أن الهجمات أو الاعتداءات لا يكون لها أوقات ثابتة إلا أني لاحظت أنها تحدث في الليل فقط وأشدها ما يقع بعد الثالثة فجراً .. وأمر آخر لاحظته .. في العادة عندما يبدأ هجومه فإنه لا يتوقف لأي سبب والدليل هجمته الأخيرة عندما دخل (فريد) علينا فهو لم يأبه له واستمر بالاعتداء عليّ ورمى بي خارج الغرفة عندما انتهى لكنه في مرة من المرات توقف فجأة وانسحب ولم يعد إلا بعد فترة طويلة ..

(دينا) : وما الذي كان مختلفاً في تلك الهجمة؟

(يُسرى) : حرقت نفسي بالخطأ ..

(دينا) : لم أفهم

(يُسرى) : تلك الليلة كنت قد أعددت لنفسي كوباً من الشاي ووضعته في حجري لأني أردت القراءة قبل النوم وبدون مقدمات هجم عليّ فوقع محتوى الكوب الساخن على حجري وصرخت متألمة من حرارته فتوقف ضغطه وتلاشى بسرعة .. لا أعرف لماذا .. الحرق كان شديداً واستغرق عدة أيام ليلتئم ولم أرَه أو أشعر به طيلة تلك الفترة وأنا أتعافى من حروقي . .لا أعرف إن كان ذلك له علاقة بالأمر لكنه شيء لفت انتباهي



(دينا) : كل هذا مررتِ به ولم تشاركيه أحداً؟

(يُسرى) : أشارك من؟ .. أهلي الذين لا يصدقونني ويتهمونني بالجنون أم الأطباء الذين أرى في نظراتهم ونبرات حديثهم معي قناعتهم بأني مجرد مختلة تحتاج للمزيد من العقاقير والأدوية المخدرة والمثبطة كي يسيطروا عليها وعلى انفعالاتها .. أنا لست مجنونة أو مختلة . .أنا ضحية .. ضحية لذلك الشيء الذي قرر ولسبب ما الاعتداء عليّ في أي وقت يشاء ويشتهي وهو نفسه من هاجمني الأسبوع الفائت وقادني للمكوث أسبوعاً في المستشفى .. ولا أخفي عليك .. بدأت أتقبل الأمر وسلمت له لكنني ما زلت لا أعرف لمَ الهجمة الأخيرة كانت أقسى من سابقاتها فهذه أول مرة يؤذيني بهذا الشكل .. لا أدري ما الذي استجد أو ما الذي اقترفته ليعاقبني بهذا الشكل

(دينا) : لعله سثم الانتظار ..

(يُسرى) : عمن تتحدثين؟ .. من؟! .. من سثم الانتظار؟! .. هل تعرفين شيئاً لا أعرفه؟

(دينا) : لم أكن أعرف شيئاً قبل أن أبحث في هذا الموضوع خاصة عندما رأيت ما حدث لكِ الأسبوع الفائت .. بحثت وسألت وقرأت .. وبعد ما سمعته منكِ أعتقد أن الأمر أصبح جلياًّ لي الآن .. وأظن أني أعرف ما هو الشيء الذي يطاردكِ .. له مسميات عديدة ومذكور في حضارات



كثيرة عبر التاريخ وأنتِ لستِ الأولى أو الأخيرة ممن تعرضوا لما تمرين به وعانوا من هجماته .. أنتِ ضحية لما يسمى بـ«الشيطان العاشق» ..

(يسرى) : شيطان ماذا ..؟

(دينا) : عاشق .. فصيلة من الشياطين الانتهازية الاستحواذية تقتات على فئة معينة من البشر تتوفر فيها صفات معينة ومحاطة بظروف خاصة والكثير منها ينطبق عليكِ

(يسرى) : ما هذا الهراء الذي تتحدثين عنه؟ .. شياطين؟

(دينا) : صدقيني كنت أظنها خزعبلات مثلكِ أول مرة عندما قرأت عنها في الكتاب الذي حصلت عليه خلال بحثي لكن ما حكيتِه لي قبل قليل ينطبق بشكل مخيف مع ما هو مكتوب في صفحاته وما زادني يقيناً بأن الأمر حقيقي هو صفاتكِ الشكلية والجسدية وبيئتك المشحونة بالمشكلات والسلبية بسبب أهلك والتي ذكرها الكتاب نصّاً بأنها إحدى الصفات المحببة والجاذبة لهم .. شعركِ الأسود الطويل .. قصر قامتكِ .. حبكِ للاستحمام بالماء الساخن .. كلها مذكورة بالحرف ناهيك عن المؤشرات والدلائل مثل موت حيواناتكِ الأليفة وإحساسكِ بلمساته وانفعاله عندما يتقدم أحد لخطبتكِ ومحاولته تخريب وإفساد الأمر ومعاقبتكِ وغيرها من المعلومات التي من المستحيل أن تكون مجرد مصادفات .. أعتقد أن تعلقه بكِ بدأ منذ



زمن طويل وأنتِ صغيرة وبقي ينتظر ويتحين الفرصة كي يستحوذ عليكِ بالكامل بموافقتكِ وتقبلكِ له بعد ما يكسر عزيمتكِ لكن وكما قلت لكِ أعتقد أنه سئم الانتظار وقرر أخذكِ عنوة

(يُسرى) بخليط من التوتر وعدم التصديق : «هل تقصدين أن هذا الشيطان العاشق كما تسمينه هو من كان يضربني ويعتدي عليّ ..؟»

(دينا) : الضرب مجرد تمهيد لما سوف يأتي بعده .. وهو الأسوأ

(يُسرى) : وكيف أتخلص منه؟ .. ماذا يجب عليّ أن أفعل؟

(دينا) : تفاهمي معه ..

(يُسرى) : أتفاهم مع من؟ .. هل تسمعين نفسكِ؟

(دينا) : هذا هو الحل الوحيد المذكور في الكتاب والذي يمكنكِ القيام به بنفسك

(يُسرى) : وكيف أتفاهم مع شيء لا أستطيع حتى رؤيته؟

(دينا) : هناك طريقة لكن ..

(يُسرى) : لكن ماذا؟

(دينا) : هذه الطريقة مذكورة في أحد الفصول لكنه سلاح ذو حدين .. فالتفاهم مع هذه الكينونات كما أسماها الكتاب ليس مثل ما يحدث معنا نحن البشر .. فطرق التواصل معهم ليست بالكلام فقط



(يسرى) : بماذا إذاً؟

(دينا) : بجميع حواسنا .. هل وسمك بوسم أم أنه لم يفعل ذلك حتى الآن؟

(يسرى) : وسم ماذا؟ . .أنا لا أفهم شيئاً مما تقولين

(دينا) : الشياطين العاشقة تسم ضحاياها بوسم ملكية مثل الذي توسم به بعض المواشي كي يتم التعرف على أصحابها منعاً لاقتراب شياطين أخرى منها وشكل الوسم قد يساعدنا في التعرف على رتبة الشيطان المتعلق بكِ وهذا سيسهل علينا معرفة طريقة التعامل معه

(يسرى) وهي مشوشة : أنا في حالة من الذهول والضياع

(دينا) : لتتمنَّ أنه لم يقمْ بوسمك لأنكِ إذا وصلتِ لتلك المرحلة من التملك فالتفاهم معه لن يكون مفيداً وستحتاجين لتدخل خارجي من شخص مختص ليقوم بطرده من حياتك

(يسرى) : هل تدركين أن كلامكِ هذا ضرب من الجنون ومن المفترض أن أضحك عليه؟

(دينا) : هذا ليس كلامي .. هذا ما هو مكتوب في الكتاب بحوزتي

(يسرى) بتهكم : ومن أين حصلتِ على هذا الكتاب؟ .. قسم الخيال العلمي أو قسم قصص الأطفال؟



(دينا) : لا يهم من أين حصلت عليه .. المهم أن تدركي أني أحاول مساعدتكِ لا أكثر ولا مصلحة لي في الكذب عليكِ .. وكما أخبرتكِ لم أصدق محتوى الكتاب إلا بعد ما سمعت كلامكِ

(يُسرى) : اشرحي لي أكثر إذاً عن هذا الشيطان .. ماذا يريد مني ولِمَ اختارني؟

(دينا) : أنا لم أفهم كي أشرح لكِ .. ذكرت لكِ ما ذكره الكتاب فقط .. أظنه مكتوباً لفئة متخصصة في هذا المجال لأنه لا يدخل في التفاصيل كثيراً وكذلك هناك الكثير من الصفحات الممزقة التي لا أعرف على ماذا كانت تحتوي

(يُسرى) ساخرة : أنصحكِ بزيارة الطبيب النفسي الذي أراجعه فهو سيساعدكِ

(دينا) : هل لديكِ تفسير أفضل مما قدمه هذا الكتاب؟

(يُسرى) : أي تفسير عدا هذه الهرطقات سيكون تفسيرًا أفضل وأكثر عقلانية

(دينا) : أفهم من ذلك أنكِ لستِ مقتنعة بهذا التفسير؟

(يُسرى) : بالطبع لا ..



(دينا) : ما تفسيركِ أنتِ إذاً؟ .. أنتِ بنفسكِ قلتِ إنكِ واثقة من أن هناك شيئاً يهجم عليكِ

(يسرى) : لو كان لدي تفسير لما كنت أتحدث معكِ الآن .. لكني لم أصل لمرحلة من اليأس تجعلني أصدق هذه الخزعبلات

(دينا) : ماذا كنتِ تقصدين بقولك إن هناك «شيئاً» يهجم عليكِ إذاً؟

(يسرى) : لا أعرف .. لكنه بالتأكيد ليس شيطاناً كما تقولين

(دينا) : لَمَ لا تحاولين أن تتحققي بنفسكِ إذاً وتحسمي الجدل ..؟

(يسرى) : أتحقق من ماذا؟

(دينا) : من أنكِ بالفعل لستِ مملوكة لشيطان عاشق .. هناك طريقة مذكورة في الكتاب للتحقق كما أخبرتكِ وعندها سنعرف إن كان ما تعانين منه مرضاً نفسيّاً بالفعل وليس شيئاً آخر

(يسرى) : سأكون مريضة فعلاً لو أنصت لكلامكِ

(دينا) : اسمعي .. لن يضركِ السماع فقط

زفرت (يسرى) وصمتت ولم تعلق ..

بدأت (دينا) بالحديث وكان واضحاً أنها تقرأ من الكتاب مباشرة وقالت :

«مذكور هنا أن طريقة السماح للكينونة بالتواصل معكِ بشكل أكبر هي بتوسيع القناة بينكما ..»



(يُسرى) بنبرة غير مكترثة : وكيف أقوم بذلك؟
(دينا) : هل تملكين مرآة في غرفتكِ؟
(يُسرى) متهكمة : ومن لا يملك واحدة في غرفته .. نعم لدي واحدة
(دينا) : بعد أن تطفئي جميع الأنوار بغرفتكِ أشعلي شمعة أسفل منها وقفي أمامها مباشرة وضعي كفكِ اليسرى على سطحها وحدقي بعينيكِ دون أن تحيدي
(يُسرى) بشيء من الاهتمام : ثم ماذا ..؟
(دينا) : يذكر الكتاب أنه لو كان هناك شيطان عاشق متعلق بكِ فسوف يعطيك إشارة بقبول دعوتك وسيتمكن من الولوج ..
(يُسرى) بتساؤل : الولوج؟
(دينا) : نعم .. وعندها يمكنكِ التفاهم معه ومحاولة إقناعه بترككِ
(يُسرى) : وإذا لم يقتنع؟
(دينا) : هنا الحد السيئ الذي حدثتكِ عنه .. وقتها ستكون سيطرته عليك مكتملة ولن تتمكني من الإفلات منه أبداً وستكون الحالة أسوأ
(يُسرى) : وماذا سيفعل أسوأ مما فعل؟
(دينا) : غير مذكور هنا لكن ما هو مذكور أن قيامكِ بذلك سيكون دعوة صريحة له للاستمرار وأنكِ قابلة ومتقبلة لما يفعله بكِ وأنكِ سلمتِ له



(يسرى) : تصبحين على خير يا (دينا) .. وشكراً لكِ على إضاعة وقتي ..

(دينا) : انتظري هناك المزيـ..

أغلقت (يُسرى) الخط في وجه صديقتها ووضعت هاتفها على الوضعية الصامتة ورمت به جانباً على سطح سريرها ..

استلقت على فراشها وبقيت تحدق بالمرآة المدمجة في دولابها وقالت محدثة نفسها ضاحكة : «شيطان عاشق .. هذا ما كان ينقصني ..»

سرحت في انعكاسها بالمرآة لعدة دقائق حتى انقطع ذلك السرحان بصوت طرقات على بابها نهضت على أثرها وفتحته لترى أختها (رجاء) تقول لها :

«أتيت للاطمئنان عليكِ فقط .. هل أيقظتكِ؟»

(يُسرى) : لا .. كنت سأنام للتو

(رجاء) : هل تحتاجين لشيء؟

(يُسرى) مستغربة من اهتمام أختها : وإن كنت محتاجة فهل ستقدمينه لي؟

(رجاء) : أعرف أنكِ تظنين أننا لا نهتم لأمركِ لكن هذا بعيد كل البعد عن الحقيقة

(يُسرى) : لديكم طريقة غريبة في إظهار ذلك الاهتمام ..



(رجاء) : أمي كانت تبكي طيلة فترة مكوثكِ في المستشفى ولم تكن تقوى على زيارتكِ مرة أخرى لأنها لم تكن تحتمل رؤيتك بتلك الحالة

(يُسرى) : سامحيني إذا لم أصدقكِ

(رجاء) : لا تصدقيني لكن لا تظني لوهلة أننا لا نكترث لأمركِ

(يُسرى) بتململ : أشعر بالنعاس .. هل لديك شيء آخر تريدين قوله؟

(رجاء) وهي تهم بالرحيل : لا .. تصبحين على خير

أغلقت (يُسرى) الباب وأقفلته وسارت نحو سريرها لكنها وقبل أن تستلقي عليه أدارت نظرها مجدداً نحو المرآة وقالت محدثة نفسها :

« ما الذي يمكن أن يحدث لو جربت ..؟»

مدت يدها وفتحت درج منضدتها وأخرجت كبريتاً وشمعة بيضاء كروية كانت تستخدمها للتعطير ووضعتها على الأرض أمام المرآة وأشعلتها بعود ثقاب ثم وقفت تتأمل انعكاسها ولهب الشمعة يتراقص أسفل منها. رفعت كفها ببطء ووجهتها لسطح المرآة وقبل أن تلمسه اتسعت عيناها متذكرة : «الأنوار ..»

أطفأت جميع الأنوار بغرفتها وعادت لمكانها أمام المرآة ووضعت كفها اليسرى على سطحها وحدقت بعينيها بتركيز ..



مضى ما يقارب الدقيقة على تلك الحالة ولم يحدث شيء فزفرت قائلة :

«تباً لكِ يا (دينا) .. لقد تلاعبتِ بعقلي ..»

همت (يُسرى) برفع كفها لكن وقبل أن تقوم بذلك رمقت انعكاس وجهها مجدداً على سطح المرآة ووقعت عيناها على انعكاسهما وهنا شاهدت شيئاً مختلفاً .. رأت أن عينها تهتز تبعها تغير طفيف في ملامحها وكأن وجهاً آخر قد تداخل مع وجهها. لم تتمكن في البداية من تحديد تلك الملامح بالضبط لكنها استمرت بالتركيز حتى بدأت تلك الملامح بالبروز أكثر إلى أن طغت على وجهها بالكامل.

سحبت يدها بجزع وأخذت بضع خطوات للوراء تراقب ذلك الوجه الذي تشكل أمامها على انعكاس جسدها في المرآة والذي كان لرجل ببشرة سوداء بأعين واسعة بياضها ناصع وسوادها معكر بلمعة زرقاء. بدأ السواد على الوجه يذوب ويسيل على بقية جسده حتى غطاه بالكامل مشكلاً تفاصيل رجلٍ كاملٍ. غطت (يُسرى) فمها بكفها وتحول جزعها لرعب حقيقي عندما شاهدت ذلك الرجل الأسود يمد قدمه عبر المرآة ويدوس بها على أرضية غرفتها ويخرج بالكامل ويقف فوق الشمعة التي انطفأت بسبب تيار هواء بارد هب خلال عبوره.

سواد بشرته لم يكن سماراً كما هو مع البشر بل سوادًا حالكاً كالقار



مما أخفى تفاصيل جسده العاري خاصة في ظلمة المكان بعد انطفاء الشمعة ولم يكسر تلك العتمة سوى لمعة عينيه البيضاوين ذواتي الحدقات الزرقاء.

عم الهدوء الغرفة ولم يكن يسمع فيها سوى أنفاس (يُسرى) الثقيلة والمتسارعة والتي بدت وكأنها صرخات مكتومة وهي تراقب ذلك الشيء المخيف يتفحص غرفتها بنظراته محركاً رأسه ورقبته يميناً وشمالاً.

(يُسرى) مبعدة كفها الراجفة عن فمها وبنبرة متذبذبة رعباً : «من أنت؟»

أجيج



«كنت أنتظر هذه اللحظة منذ سنوات ..»
قالها الرجل الأسود بعد ما وقعت عيناه اللامعتان على الفتاة المرعوبة الواقفة أمامه..

(يسرى) وهي لا تزال مهزوزة من هول ما تراه : هل أنت حقاً شيطان؟!

- أنا أنتِ .. وأنتِ أنا .. جزء من كلكِ .. وكلكِ لي .. قالها الرجل الأسود وهو يمد يده نحوها ..



(يُسرى) متراجعة بضع خطوات للوراء : «لا أريدك أن تكون جزءاً من حياتي .. ارحل عنها ..»

أنزل الكائن الأسود يده قائلاً : «هم سبب ممانعتكِ ومعاناتك .. لا تحملي همهم .. سيزول أثرهم وتأثيره .. وسنكون معاً للأبد ..»

(يُسرى) : عمن تتحدث ..؟

- «عن السدود والحواجز .. من يحاولون تفريقنا وإبعادنا بعضنا عن بعض .. أعرف أنكِ استدعيتني للتخلص منهم .. وسأفعل .. وبعدها سترحلين معي..»

(يُسرى) : نرحل إلى أين ؟

- «إلى حيث ننتمي .. »

قبل أن تحاول (يُسرى) الحديث معه أكثر اضمحل خياله وتبدد وكأنه دخان تطاير في الهواء ..

بعد لحظات من التحديق بالمكان الذي كان يقف فيه الرجل الأسود أفاقت (يُسرى) من صدمتها وجرت مباشرة نحو سريرها والتقطت هاتفها واتصلت بصديقتها وما أن أجابت عليها حتى صرخت فيها قائلة : «لقد نجحت تجربتكِ المجنونة!»



(دينا) بخليط من العجب والصدمة : هل حقاً قمتِ بها؟!

(يسرى) : ألست أنتِ من قال لي ذلك؟!

(دينا) : بلى لكني لم أظنكِ حقاً ستجربينها .. نبرتكِ في الحديث معي آخر المكالمة لم توعز لي بذلك

(يسرى) بانفعال : وقد جربت! .. ماذا الآن؟!

(دينا) : ماذا في ماذا؟

حكت (يسرى) لصاحبتها تفاصيل ما حدث وقالت بأنها تشعر بقلق شديد من كلامه بالرغم من أنها لم تفهم معناه بالكامل ..

(يسرى) بتوتر : لقد ظهر لي وتحدثت معه وقال كلاماً غريباً لم أفهم منه شيئاً .. ماذا كان يعني؟

(دينا) بنبرة حائرة : لا أعرف ..

(يسرى) : ألا يوجد في كتابكِ اللعين شيء عن هذا الخصوص؟!

(دينا) : أنتِ لم تعطيني فرصة لأكمل حديثي وأنهيتِ المكالمة بيننا

(يسرى) : أكملي الآن إذاً!

(دنيا) : وما الفائدة لقد قمتِ بالتجربة وقضي الأمر وتحققنا

(يسرى) وقد بدأت تفقد أعصابها : تحدثي!



(دينا) : حسناً .. حسناً هدئي من روعك .. انتظري فقط كي أحضر الكتاب

(يُسرى) بتوتر : لا تتأخري

غابت (دينا) لعدة دقائق قضتها (يُسرى) في تأمل جوانب غرفتها المظلمة حتى عادت صاحبتها وقالت لها : «لم أجده ..»

(يُسرى) : ماذا تقصدين بأنكِ لم تجديه؟

(دينا) : أنا متيقنة من أني وضعته بين بقية كتبي في المكتبة لكني لم أجده حيث تركته وبحثت في كل مكان ولا أثر له

(يُسرى) : ألا تذكرين شيئاً مما قرأته وكنتِ ستقولينه لي؟

(دينا) : بلى .. كنت أريد تحذيرك من أن التجربة لو نجحت فإن ذلك الشيطان سيبدأ بالتخلص من العوائق التي تعيقه عن الاستحواذ عليكِ

(يُسرى) : نعم أذكر أنه قال شيئاً من هذا القبيل .. شيئاً عن السدود والحواجز وأنه سيتخلص منها لكني لم أفهم قصده بتلك العوائق ..

(دينا) : يقصد أي شخص يمكنه أن يكون ملجأ لكِ أو مصدر طمأنينة يمنعكِ من تقبله والتعلق به .. يريدكِ وحيدة كي لا تجدي ملجأ سواه

(يُسرى) : كلامك لا يزال غير مفهوم .. من تقصدين؟



في تلك اللحظة سمعت (يُسرى) صرخة قوية قادمة من الطرف الآخر للمكالمة ..

(يُسرى) بجزع : (دينا)! .. لمَ تصرخين!

لم تجب عليها لكنها استمرت بسماع صرخاتها المستنجدة البعيدة وكأن الهاتف وقع من يدها ومن الواضح أنها كانت تتعرض لهجوم ما. استمرت (يُسرى) تنادي على صديقتها وهي تسمعها تستنجد متألمة تصرخ وتبكي قائلة :

«توقف! .. أرجوك توقف!»

توقف كل شيء فجأة .. الصراخ .. الاستنجاد .. وتوقفت معه نداءات (يُسرى) في محاولة للإنصات لكنها لم تسمع شيئاً لذا قامت بقطع الخط بنية الاتصال بالشرطة لكنها فوجئت بصرخة أخرى قادمة من وسط منزلها .. الغرفة المجاورة لغرفتها .. غرفة (رجاء) ..

نهضت بسرعة من فراشها وخرجت من غرفتها وهي قابضة على هاتفها بيسراها وتوجهت لغرفة أختها وفتحت الباب لتقع عيناها على منظرٍ مرعبٍ وصادمٍ. شاهدت أمامها أختها وهي معلقة في الهواء قابضة بكفيها على عنقها تركل الهواء بأقدامها تصارع بحثاً عن النفس وكأنها مشنوقة بحبل خفي.



بالرغم من أن لا شيء كان ظاهراً أو واضحاً إلا أن شعوراً قوياً تملك (يُسرى) في أن المتسبب هو ذلك الشيطان الذي ظهر لها سابقاً فأخذت تنادي صارخة:

«اتركها وشأنها! .. ما تفعله لن يقربني منك!»

سقط جسد (رجاء) على الأرض فهرولت أختها نحوها ورفعت رأسها ووضعته على حجرها متفحصة عنقها المحمر منصتة لأنفاسها المتقطعة حتى تيقنت من أنها وبالرغم من اختناقها إلا أنها لا تزال على قيد الحياة وخلال قيامها بذلك دخل (فريد) عليهما وقال بنبرة مصدومة: «ماذا فعلتِ بها؟!»

(يُسرى) رافعة رأسها نحو أخيها عند مدخل الغرفة: «أنا لم أفعل شيئاً .. لقد تعرضت ..»

قبل أن تكمل (يُسرى) جملتها انطلق جسد أخيها بسرعة خارقة للأمام مصطدماً بالجدار أقصى الغرفة وبعد نهوضه مترنحًا وبحالة مشوشة ظهر ذلك الرجل الأسود أمامه ووضع كفه على وجهه ورمى به مجددًا لزاوية أخرى.

حاول (فريد) المقاومة بآخر ما تبقى لديه من قوة لكن محاولته باءت بالفشل بعد ما تلقى ضربة قوية على صدره حطمت بعض عظامه



تبعها ارتقاء سريع للأعلى شج على أثره رأسه بعد ما اصطدم بالسقف الصلب ليقع على الأرض بلا حراك.

فقدت (يُسرى) أعصابها ونهضت من مكانها تصرخ في فراغ الغرفة شبه المظلم: «توقف! .. توقف!»

رمشت أنوار الغرفة تبعها انقطاع لأنوار المنزل بالكامل وكأن الحياة توقفت فجأة ..

ظنت (يُسرى) أن ذلك الشيء استجاب لها ورحل لكن صوت استنجاد أمها القادم من غرفتها هز كيانها ودفعها للجري وسط العتمة في ممر الطابق العلوي حتى وصلت لباب غرفة أبويها لتجد أباها منكبّاً أرضاً على وجهه عند المدخل بلا حراك وبعد دخولها الغرفة شاهدت أمها ملتصقة بوجهها بأحد الجدران مبسوطة الذراعين والساقين مكشوفة الظهر تصرخ متألمة مما بدا وكأنه سوط خفي يجلدها.

صرخت (يُسرى) بكل قوتها قائلة: «توقف وسأرحل معك حيث تشاء!»

وبالفعل .. توقف كل شيء .. سقطت الأم وارتطم وجهها بالأرض وكأن قيوداً خفية قد انحلت عنها .. جرت (يُسرى) نحوها وساعدتها على النهوض وعندما تحققت من أنها بخير ولا تزال تتنفس هرعت



نحو أبيها والذي أفاق هو الآخر مما ألم به وقال لها وهو في حالة من التيه : «ما الذي يحدث يا ابنتي؟»

(يسرى) ماسحة على جبينه وبنبرة متوترة جداً : «سينتهي كل شيء يا أبي أعدك بذلك ..»

سحبت (يسرى) أباها لداخل الغرفة وأسندت ظهره للجدار ثم خرجت وتوسطت الممر باسطة ذراعيها وكفيها منادية :

«كف عما تقوم به من ألاعيب وواجهني!»

عادت الإنارة للمنزل واشتعلت أنوار الممر كلها وتكونت في سقفه سحابة من الدخان الأسود تشكلت نزولاً بهيئة ذلك الرجل الأسود والذي بدأ بالسير نحوها بخطواتٍ بطيئة حتى أصبح واقفاً أمامها مباشرة وقال :

«سترحلين معي رغبة أم رهبة ..؟»

(يسرى) محاولة التماسك رغم دموعها المنهمرة : «وهل هناك فرق بالنسبة لك؟»

- نعم ..

(يسرى) : لا فرق بالنسبة لي .. ما يهمني هو أن تتوقف عن إيذاء من أحب



- «هؤلاء لن يحبوك مثلما أحبكِ أنا ..»

(يسرى) : وأنا لن أحبك مثلما أحبهم ..

صمت الكائن الأسود محدقاً بها بملامح خالطها التجهم والخيبة ..

(يسرى) مستنشقة دموعها وبنبرة منهارة : ماذا تنتظر؟

- أنتظر أن تنادي عليّ .. تطلبي مني أن أستحوذ عليكِ بالكامل .. أريد أن أسمع ما أنا واثق من أنه رغبتكِ ..

(يسرى) : وأنا لا رغبة لي سوى أن أراك تخرج من حياتي .. حياتي التي أريد أن أعيشها بدونك ..

- حياتكِ ستخذلك ..

(يسرى) : لكني لن أخذل نفسي وأسلمها لشيطان مثلك .. وحياتي شأني وأنا أدرى بها ..

مد الشيطان الأسود يده لها وقال :

«لا حياة حقيقية لكِ بدوني .. أنتِ وحيدة وأنا ملجؤكِ الوحيد .. لا أحد سيحبكِ أو يريدكِ غيري .. هل ستعودِين لهم؟ .. لمن يكرهونكِ ويعاملونكِ كمنبوذة وتتركين من سيهب حياته لكِ ولإسعادكِ وسيحرق كل من يمسكِ أو يمس هدبة من أهدابكِ .. سأهبكِ حياة جديدة كما



ستقومين أنتِ بالمثل لي .. أنا لا أعرف النور إلا من خلالكِ .. أجيج حبكِ أذاب صقيع قلبي وأشعل فيه لهيباً أخشى أن يحرقني .. أحبكِ لأنكِ الوحيدة من استطاعت سماع همسي وحديثي مع نفسي .. رفقتكِ هي جل أحلامي وقمة رغباتي .. أريد الخروج مني إليكِ .. لتحتويني وأحتويكِ .. وأستحوذ عليكِ بالكامل دون أن يشاركني أحدٌ فيك ..»

(يُسرى) : ما تطلبه لن يكون أو يتحقق إلا إذا تركت لي حق الاختيار ..

- أقسم أنكِ لو قلتِ «ارحل» فسوف أفعل .. قوليها فقط .. أو قولي ما أنا واثق من أنكِ تريدين قوله وهو «خذني» .. مكنيني من نفسكِ وسترين كيف يمكنني إسعادكِ .. أمسكي يدي وقوليها فقط .. »

تأملت (يُسرى) اليد السوداء الممدودة لها لثوانٍ قصيرة وقررت أن ترفع هي الأخرى يدها اليمنى الملفوفة بالجبيرة البيضاء ببطء في نية للإمساك بكفه وقبل أن تتلامس أناملهما رن هاتفها الذي كانت لا تزال قابضة عليه بيدها اليسرى فرفعته أمام وجهها لتراه مضاء بعبارة لرقم خزنته سابقاً ..

«أحمق .. لكن يستحق فرصة»



سحبت (يُسرى) يمينها مبعدة كفها عن كف الشيطان الأسود الممدودة لها وتأملت في هاتفها باسمة خلال نزول دموعها وقالت :

«ارحل .. سأعطي حياتي فرصة أخرى ..»

تذبذب خيال الشيطان الأسود وتحول لدخانٍ اضمحل في الهواء ..

فتحت (يُسرى) الخط وأجابت قائلة : «أهلاً (داود) ..»



الصفحات الممزقة

تجلس (دينا) مساءً أمام المرآة يوم زفافها وصديقتها (يُسرى) تقف ورراءها لوضع اللمسات الأخيرة على زينتها ..

(دينا) متحسسة كدمة عند عينها : هل تظنين أنه سيلاحظ؟

(يُسرى) وهي تصفف شعرها : ضعي عليها بعض المساحيق وستختفي

(دينا) بإحباط : لقد استهلكت علبة كاملة ..

(يُسرى) باسمة : قولي بأنكِ وقعتِ عن السلالم . .هذا العذر كان ينجح معي دائماً في السابق

(دينا) : جسدي بحالة أسوأ من وجهي .. أخشى عندما يراه سيرد البضاعة لأبي مطالباً بتعويض

ضحكت (يُسرى) بقوة ثم وضعت كفيها على رأس صديقتها وقبلته قائلة بنبرة هادئة وممتنة : شكراً .. شكراً لكل ما قدمتِه لي ..

(دينا) واضعة يدها على رأس (يُسرى) باسمة : أنا لم أفعل شيئاً لم تكوني ستقومين به لأجلي ..



(يُسرى) رافعة رأسها ناظرة لانعكاس وجه صديقتها في المرآة: «المهم أن كل شيء انتهى الآن ..»

(دينا): كيف حال خطيبك؟

(يُسرى) باسمة: (داود)؟ .. متوتر ومرتبك كعادته

(دينا) ممازحة: لكنه لم يرتبك عندما تقدم لخطبتكِ

(يُسرى): نعم .. يعجبني فيه أنه لا يتردد عندما يريد القيام بشيء هو راغب فيه بحق .. وهذ الأمر أسعدني جدّاً .. أشعر بحبه القوي لي كلما تحدثت معه وحاول أن يعبر عنه .. كلماته المتلعثمة مليئة بالصدق .. الصدق الذي لم أسمعه منذ وقت طويل

نهضت (دينا) من مكانها واستدارت وعانقت صاحبتها وهمست في أذنها قائلة:

«أنتِ تستحقين كل ذرة من السعادة في هذه الدنيا يا كئيبة ..»

(يُسرى) وهي تشد عناق (دينا): هيا إذاً كي لا تتأخري على سعادتكِ يا حرباء ..

أنهت (دينا) عناقهما بقبلة على وجنة (يُسرى) وقبل أن تتحركا تجاه القاعة حيث كان حفل الزفاف سيقام مدت (دينا) يدها ومسحت على



رقبة (يُسرى) قائلة : «ما هذا؟»

وضعت (يُسرى) كفها على رقبتها مغطية كدمة صغيرة عليها وقالت :

«لا شيء ..»

(دينا) بقلق : هل ..؟

(يُسرى) ومعالم وجهها تتغير وبابتسامة مصطنعة :

«أخبرتكِ بأنه لا شيء .. أنا بخير .. هيا .. لا نريد أن نتأخر أكثر ..»

خرجت الاثنتان من الغرفة تاركتين هاتف (يُسرى) الذي نسيته على المنضدة يرن باسم :

«عمري المهدد بالانتهاء ..»



الأحلام باقة جميلة تستحق المشاركة مع الغير..

لكن ماذا عن الكوابيس ..؟ ..

تلك التي تهدينا الألم في يقظتنا قبل غفوتنا ..

تحتضننا عنوة وتعانقنا خنقاً ..


9786038333570

